

التعبير الكنائي في الأدب الأردني الساخر

"مؤلفات أحمد حسن الزعبي"

نموذجاً

The Metaphric Expression in Jordanian Comic Literature

" The Writing of Ahmad Hassan ALzoubi "

As an Example

إعداد

وفاء مفلح جمعة الرواحنة

إشراف

أ.د. سعود محمود عبد الجابر

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة

العربية وآدابها

قسم اللغة العربية

كلية الآداب والعلوم

جامعة الشرق الأوسط

أيار / 2016

التفويض

أنا الطالبة وفاء مفلح جمعة الرواحنة ، أفوض جامعة الشرق الأوسط بتزويد نسخ من رسالتي ورقياً وإلكترونياً للمكتبات أو المنظمات أو الهيئات والمؤسسات المعنية بالأبحاث والدراسات العلمية عند طلبها .

الاسم : وفاء مفلح جمعة الرواحنة

التاريخ : 2016 / 5 / 29

التوقيع : وفاء الرواحنة

الشكر والعرفان

مما يقتضيه وفاء الطالبة وتقتضيه هذه الرسالة كلمة حق معبرة عن ثناء صادق ، أقولها في فضل من ليس لي في جزاء إحسانه إلا الشكر و العرفان بالجميل .

يأتي في مقدمة من أعني فضلهم وإحسانهم

الأستاذ الدكتور سعود عبد الجابر أستاذ الأدب والنقد في جامعة الشرق الأوسط

الذي أشرف على هذه الرسالة ، وبذل جهداً كبيراً في تقييمها ، فلم يبخل عليّ بعزير كلمه وثاقب بصيرته وصادق نصحه وتوجيهه .

وقد كان المعين لي والمحرّك لهمتي . فلي منه الفضل ، وله مني عظيم الشكر ، وجزاه الله عني أمانة إشرافه وإرشاده خير الجزاء .

ومن الوفاء أن أسجل شكري عرفاني إلى

الأستاذ الدكتور بسام قطوس أستاذ الأدب والنقد في جامعة الشرق الأوسط

وقد كان لي منه وقفة مشرفة وحسنة ومشهودة فله مني صادق الشكر والثناء كما أقدم خالص الشكر والتقدير إلى

الأستاذ الدكتور محمد المجالي أستاذ الأدب والنقد في جامعة الزيتونة

على ما أبداه من إفادة جيدة ومشورة نافعة واهتمام مخلص في إعداد هذه الرسالة

ونخبة أخرى إذ لا يستع المقام لذكرهم فهم في القلب والوجدان مذكورون أساتذة وزملاء وأصدقاء وإخوة وأخوات ولأهلي جميعاً لهم خالص الشكر والعرفان

الباحثة

وفاء مفلح الرواحنة

الإهداء

إلى
والديّ
الذين أخفض لهما جناح الذل من الرحمة .

إلى
الذين تفيأت بظلّ عطائهما الوافر الوارف
ونهلّت من حنّوهما الذي لا ينسى .

إلى
منّ ينبض قلبهما بالإحساس .

إلى
أعزّ الناس
أبي الحنون و أمي الحنونة

حفظهما الله تعالى وأمدّ في عمرهما
أهدي ثمرة جهدي المتواضع لهما

رمزاً للوفاء والعرفان

الباحثة

وفاء مفلح الرواحنة

قائمة المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
أ	العنوان
ب	التفويض
ج	قرار لجنة المناقشة
د	الشكر
هـ	الإهداء
و	قائمة المحتويات
ح	الملخص باللغة العربية
ط	الملخص باللغة الإنجليزية
الفصل الأول	
الإطار العام للدراسة	
2	مقدمة الدراسة
5	مشكلة الدراسة وأسئلتها
5	أهداف الدراسة
6	أهميّة الدراسة
6	حدود الدراسة
7	منهجية الدراسة
7	ما يميز الدراسة عن الدراسات السابقة
8	مصطلحات الدراسة
الفصل الثاني	
14	الإطار النظريّ
18	الدراسات السابقة

الفصل الثالث	
23	المبحث الأول : مفهوم السخرية
28	المبحث الثاني : نشأة الأدب العربي الساخر
الفصل الرابع	
44	الدراسة الفنية لمؤلفات الكاتب أحمد حسن الزعبي من حيث اللغة والأسلوب
الفصل الخامس	
77	المبحث الأول : مفهوم الكناية
81	المبحث الثاني : نماذج من التعابير الكنائية في مؤلفات الكاتب أحمد حسن الزعبي
87	النتائج والتوصيات
90	الخاتمة
91	قائمة المصادر والمراجع

التعبير الكنائي في الأدب الأردني الساخر

إعداد

وفاء مفلح جمعة الرواحنة

إشراف

الأستاذ الدكتور سعود محمود عبد الجابر

الملخص

يّمّت هذه الدراسة صوب التعبير الكنائي في الأدب الأردني الساخر؛ لتكون دراسة وصفية تستثمر الطاقة البلاغية للكناية، ودورها في إبراز الصورة الساخرة من خلال تتبع التعبيرات الكنائية عند الكاتب الساخر أحمد حسن الزعبي، والكشف عن دلالاتها.

كما بلورت الدراسة بدءاً بمفهوم السخرية، وتتبع تطور الأدب الساخر عبر العصور التاريخية الأدبية من خلال عرض لمحة موجزة عن السخرية في كل عصر وصولاً للعصر الحديث.

وتقع الدراسة في خمسة فصول: تناول الفصل الأول: الإطار العام للدراسة، حيث

شمل مقدمة الدراسة، وأسئلتها، وأهدافها، وأهميتها، وحدودها، ومنهجيتها، ومصطلحاتها، أما الثاني: فيحتوي الإطار النظري للدراسة، والدراسات السابقة.

وجاء الفصل الثالث توطئة للدراسة عبر مبحثين: وقف أولها: عند مفهوم السخرية عند

الأدباء، تمهيداً للمبحث الثاني حيث تناول نشأة الأدب العربي الساخر.

وارتكز الفصل الرابع على محورين: الأول نبذة عن حياة الكاتب أحمد حسن الزعبي،

والثاني: الدراسة الفنية لمؤلفات الكاتب من حيث الأسلوب واللغة.

وأما الفصل الخامس فيتمثل بالتعريف بمفهوم الكناية، وإلقاء الضوء على نماذج نصية

تمثل التعبير الكنائي في مؤلفات أحمد حسن الزعبي وأثره في الصورة الساخرة.

الكلمات المفتاحية: السخرية، الكناية، التعبير الكنائي.

The Metaphoric Expression in Jordanian Comic Literature

Supervision

Dr. Saud Mahmoud Abd AL-Gaber

Abstract

This study has focused on the metaphoric expression in Jordanian comic literature as a descriptive study that utilizes the metaphoric relations of the metaphoric expressions .

The study also revealed the ironic picture by following the metaphoric expression in Hassan ALzoubi writings and revealing its meaning and indications

The study also started with the definition of comedy and followed literary ages by showing an 'it is developments during the historical example of comical literature from each age till we get to the modern comedy .

The study has been set into five chapters .The first section deals with the general frame of the study which includes the introduction of the its procedures , its limits, its significance, its aims , its questions, study and its vocabulary

The second chapter deals with the theoretical side of the study and the relevant literature on the subject of the study .

The third chapter sets the ground for the study by concentrating on two subject .

The first one covers the comics in authors writing the second section discusses the construction of the comic Arabic literature .

The fourth chapter is based on two sides the first introduces a reviews of writers life and the second discusses the authors writing and language

The fifth chapter consists of the definition of metaphor and highlighted the texts that contains comedy in Hassan ALZoubi writings and its effect on the comic picture.

Key words: comic, metaphor, the metaphoric expression.

الفصل الأول

الإطار العام للدراسة

الفصل الأول

الإطار العام للدراسة

مقدمة الدراسة

تتناول هذه الدراسة موضوع التعبير الكنائي في الأدب الأردني الساخر من خلال مؤلفات الكاتب أحمد حسن الزعبي .

فلقد بدأ الأدب الساخر منذ العصر الجاهلي فكان الأدب العربي حافلاً بالصور الساخرة ، وامتزجت بأغراض شعرية أخرى كالهجاء مثلاً ، وقويت بالمشاحنات والمناظرات ، وتطورت مع بداية الخلافة الأموية حيث ثلاثي النقائص الأخطل (ت 119 هـ) و جرير (ت 202 هـ) والفرزدق (ت 245 هـ) ، فامتازت السخرية بعنصر الإضحاك من خلال تعمّد الإساءة للشخص المهجو ، فوصلت مع بداية العصر العباسي أوج مراحل تطورها، وبرزت فناً قائماً بذاته وأسلوباً تعبيرياً عن الحياة والعلاقات البشريّة ، وترسخت معالم الأدب الساخر آنذاك ، فبرز العديد من الكتاب والشعراء الذين اتخذوا من السخرية أسلوباً خاصاً في كتاباتهم وتعبيرهم عن مواقفهم ورؤاهم، مثل ابن المقفع(ت 142 هـ) في كليلة ودمنة، وفن المقامات ورسالة الغفران لأبي العلاء المعري (449 هـ) ، والنّوادر لأبي العيناء (ت 242 هـ) وأخبار الظرفاء لأبي الطيب الوشاء (ت 325 هـ) وأخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي (ت 597 هـ) وغيرها من المؤلفات النثرية ، كما يعد كتاب البخلاء وصاحبه الجاحظ (ت 255 هـ) رائد السخرية وواحد عصره في الكتابة والإبداع في هذا المجال .

ومن هنا بدأ الأدب الساخر يظهر ويتطور فناً قائماً بذاته يحمل في ثناياه الغمز واللمز والهمز بأسلوب فكاهي فطن .

والعصر الحديث حفل الأدب العربيّ بكثير من الصور الساخرة بالاعتماد على الأسلوب الساخر في الحديث عن مشاكل وصراعات سياسية واجتماعية ، وويلات الاستعمار من نهب وسلب وقتل وطمس لمعالم الشخصية العربية ، وما عاناه المواطن العربيّ ، وما جابهه من هموم وفساد وتخاذل ووضع متأزم كان له وقع مؤثر في نفس العربيّ المثقف الذي عاش ألم هذا الواقع ومعاناته ؛ لذلك برزت الأقلام العربية العديدة التي جعلت من أدبها (شعراً ونثراً) ، أدباً ساخراً ، ومنبراً رافضاً للواقع العربيّ بطريقة ساخرة ، وبصورة مضحكة تبعث الفكاهة ، ويتمثل هؤلاء أوضاعهم الراهنة في العالم العربيّ ، ويعاصرون الأحداث ، ويدركون ما يحيط بهم من تناقضات ؛ فيتخذون من أدبهم سلاحاً هجومياً ونقداً لاذعاً لتصوير المتاعب والمصائب التي يشهدونها ، وقد يلجأ الأدباء إلى الأدب الساخر ؛ في محاولة لاسترجاع حقوقهم المسلوبة ؛ أو تنبيه الظالمين المتجبرين بطريقة مناسبة دون مخاطرة ؛ أو تبيان سيئات المجتمع في مختلف المجالات ، مما يعني أن الأديب الساخر يعكس هموم مجتمعه على شكل ابتسامات وفكاهات ، وهذا أدى إلى انتشار هذا النوع من الأدب .

والكاتب أحمد حسن الزعبي من الكتاب الأردنيين الساخرين الذين اتخذوا من الكتابة الساخرة سبيلاً ؛ لتحقيق هدفهم في نقد المجتمع ، وإبصاليهم رسالة ما للمتلقي القارئ أو السامع يدركها الفطن اليقظ ، حيث يتسم أسلوبه بالاقتراب من الذائقة العامة أو الذائقة النخبوية أحياناً، كما اعتمد هذا الأسلوب الفني ؛ لتقديم النقد اللاذع في جو من الفكاهة والإمتاع والتشويق والتأثير .

حاولت الدراسة الوقوف على سمات الأدب الساخر من خلال مؤلفات أحمد حسن الزعبي ، وعرض أثر التعابير الكنائية في الصورة الساخرة وتحليلها على اعتبار أنّ الكاتب نموذج من

مجموعة الكُتّاب الأردنيين الذين اتسموا بكتابتهم الساخرة التي تلامس واقع المواطن الأردنيّ وتعكسه .

كما عمدت الدراسة إلى تتبع التعابير الكنائيّة في مؤلفات الكاتب متبعة المنهج الوصفيّ التحليلي .

وتقع الدراسة في خمسة فصول ، يتناول الفصل الأول ، المقدمة ، ومشكلة الدراسة وأهدافها وأهميتها وحدودها ومنهجيتها ، والتعريف بالمصطلحات ، ويحتوي الفصل الثاني على الأدب النظريّ والدراسات السابقة ، والفصل الثالث، يشتمل على مفهوم السخرية و نشأة الأدب العربيّ والأردنيّ الساخر و أما الفصل الرابع فيتمثل في نبذة عن حياة الكاتب أحمد حسن الزعبي، والدراسة الفنيّة من حيث الأسلوب واللغة في مؤلفات الكاتب أحمد حسن الزعبي ، ويحتوي الفصل الخامس على مفهوم الكناية و نماذج نصيّة تمثل التعبير الكنائيّ في مؤلفات أحمد حسن الزعبي وتبيان أثر ذلك في صورته الساخرة .

مشكلة الدراسة وأسئلتها :
 ستحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية :

- 1- ما سمات الأدب الساخر ؟
- 2- ما أبرز الخصائص الفنيّة لأسلوب الكاتب أحمد حسن الزعبي ولغته ؟
- 3- ما دور الكناية في إبراز الصورة الساخرة في مؤلفات الكاتب أحمد حسن الزعبي ؟

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى تجلية التعبير الكنائي لدى الكاتب أحمد حسن الزعبي من خلال :

- 1- تبيان سمات الأدب الساخر .
- 2- إلقاء الضوء على الإبداع الفنيّ في أسلوب الكاتب أحمد حسن الزعبي ولغته .
- 3- دراسة أثر الكناية في تفعيل الصورة الساخرة في مؤلفات الكاتب .
- 4- عرض وتحليل لبعض التعابير الكنائية في مؤلفات الكاتب .

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية الدراسة في النقاط الآتية :

- 1- تمثل الكاتب نموذجاً للأدب الأردني الساخر .
- 2- تحقق الإبداع الفني في الأدب الساخر من خلال مؤلفات الكاتب أحمد حسن الزعبي
- 3- ملامسة الأدب الساخر وانعكاسه لواقع المواطن الأردني وتأثره به .
- 4- إثراء المكتبة العربية والدراسات المتخصصة في مجال الأدب العربي الساخر .

حدود الدراسة :

تقوم هذه الدراسة على تتبع التعبيرات الكنائية في الأدب الأردني الساخر من خلال مؤلفات الكاتب أحمد حسن الزعبي وهي (سواليف 2009، وأوجاع وطن 2011، ونزف منفرد ، والممعوط 2011) ، مبينة توظيف الكاتب للكناية بأدبه الساخر مع إلقاء الضوء على جوانب الإبداع الفني في أسلوب الكاتب ولغته .

منهجية الدراسة :

تتبع الباحثة في دراستها هذه المنهج الوصفي التحليلي حيث عمدت إلى عرض الأدب الساخر وخصائصه والتعبير الكنائية وتحليلها في مؤلفات الكاتب .

ما يميز هذه الدراسة :

تتماز هذه الدراسة بتناولها مؤلفات الكاتب أحمد حسن الزعبي من خلال الوقوف على التعبير الكنائية وتحليل أثرها في الصورة الساخرة ، وإبراز جوانب الإبداع الفني في مؤلفات الكاتب الذي يتسم بأسلوبه الساخر ، ولم تعثر الباحثة على دراسات سابقة متعمقة تتناول التعبير الكنائية في مؤلفات الكاتب أحمد حسن الزعبي .

مصطلحات الدراسة :

الكناية

عرّف (ابن منظور (ت 711 هـ) ، 2007م ، مادة كني) الكناية لغة : " أن تتكلم بالشيء وتريد غيره ، ويقال كنيته بكذا عن كذا إذا تركت التصريح به " ، وكما تعني " الستر والإخفاء " (مطلوب ، ج 3 ، ص 154) .

وعرّف بعض البلاغيين الكناية اصطلاحاً على النحو الآتي :

(عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) ، 1961م ، ط 2 ، ص 52) بقوله :

الكناية هي " أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيوميء به إليه ويجعله دليلاً عليه " .

عرّفها (السكاكيّ (ت 626 هـ) ، 1973م ، ط 1 ، ص 402) :

" هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك، كما تقول فلان (طويل النجاد) لينتقل إلى ما هو ملزومه وهو طول القامة " . وكذلك : " إنها نازلة من المجاز منزلة المركب من المفرد " .

وعرّفها (ابن الأثير (ت 637 هـ) ، 1960م ، ط 1 ، ج 2 ، ص 194) :

" إنها كل لفظة دلّت على معنى يجوز حمله على جانبيّ الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز " .

وعرّفها (العلويّ (ت 705 هـ) ، 1914م ، ج 1 ، ص 373) بقوله :

" فالمختار عندنا في بيان ماهية الكناية أن يقال هي اللفظ الدال على معنيين مختلفين حقيقة ومجازاً من غير واسطة لا على جهة التصريح " ، وقال في الكناية: " تفيد الألفاظ جمالاً وتكسب المعاني ديباجة وكمالاً وتحرك النفوس إلى عملها وتدعو القلوب إلى فهمها " .

عرّفها (عبد القادر الرباعي ، د.ت ، ط1 ، ص163) :

" عبارة صورية عرضية مباشرة تشير إلى معنى غير معناها الأصلي ... إنها وسيلة لمعنى آخر في عقل الشاعر وقلبه "

إذن ، فالتعريف الإجرائي للكناية هو :

بلاغة لفظ أطلق وأريد به معنى غير معناه الحقيقي الذي وضع له مع جواز إرادة المعنى الأصلي.

التعبير الكنائي

عرّف بعض الأدباء التعبير الكنائي على النحو الآتي :

عرّف (مجموعة من المؤلفين ، 1986م ، ص24) :

التعبير الكنائي : " هو تعبير عن دلالة تختفي تحت الظاهر منها ، فتثير حفيظة الآخر لاقتناص هذه الدلالة من أعماقها " ، و " لغة نابضة ترفض الظاهر لتدخل نحو الباطن معها المتلقي ليتعامل مع لغة جديدة غير التي يستعملها خارج الفضاء النصي " .

عرّفه (السيد ، 1988م ، ط3 ، ص121) بقوله :

" التعبير الكنائي هو ذاته قرينة مانعة من تصور المعنى الحقيقي فيه ؛ لأن هذا التعبير يترك دلالاته الظاهرة وينتشر جلده ليظهر المعنى المختبئ " .

وعرّف (علوية ، 1992م ، ط1 ، ص101) :

" التعبير الكنائي هو تعبير أدبي ذو بعد معجمي ليعبر به نحو البعد الدلالي الذي يتسم بانفتاحه متسعاً للتأويل والتحليل " .

وعرّفه (عبد المطلب ، 1997م ، ص12) :

" هو تعبير جمالي في بنية نص أدبي يستحضر التحليل والتأويل " .

وعرّفه (الدسوقي ، 2007م ، ط1 ، ص179) :

" هو تعبير جماليّ من نسيج لغويّ، يدعو متذوق النصّ الإبداعيّ أن يقشر هذا الأسلوب ليصل إلى لبّه ".

إذن ، فالتعريف الإجرائيّ للتعبير الكنائّي هو :

تعبير يحمل دلالة مزدوجة ، الأولى ظاهرة غير مقصودة ، والثانية خفيّة مقصودة تثير المتلقي لإدراكها وتحليلها وتأويلها .

السخرية

عرّف (ابن منظور (ت 711هـ) ، ط4 ، مادة سخر) السخرية لغة : " من سخر منه وبه ، أي هزىء به " .

عرّف بعض الأدباء المحدثين السخرية على النحو الآتي :

عرّفها (أدونيس ، 1972م ، ط1 ، ص28) :

" هي الهزء بشيء ما لا ينسجم مع القناعة العقليّة ، ولا يستقيم مع المفاهيم المنتظمة في عرف الفرد أو الجماعة ، وإنها موقف فرد متعال بما هو شاذ وغريب ومنقطع عن المألوف ، وفي كل انقطاع عن المألوف شيء ما يثير الضحك " .

عرّفها (طه ، 1978م ، ص69) :

" هي النقد الضاحك أو التجريح الهازئ ، وغرض الساخر هو النقد أولاً ، والإضحاك ثانياً ، وهو تصوير الإنسان تصويراً مضحكاً ، إمّا بوصفه في صورة مضحكة بواسطة التشويه الذي لا يصل

إلى حدّ الإيلام ، أو تكبير العيوب الجسميّة ، أو العضويّة ، أو الحركيّة ، أو العقليّة ، أو ما فيه من عيوب حتى سلوكه مع المجتمع وكلّ ذلك بطريقة خاصة مباشرة " .

عرّفها (عبد النور ، 1979م ، ص138) :

" نوع من الهزء قوامه الإمتاع من إسباغ المعنى الواقعيّ أو المعنى كلّه على الكلمات والإيحاء عن طريق الأسلوب وإلقاء الكلام بعكس ما يقال " .

عرّفها (وهبة والمهندس ، 1984م ، ط2 ، ص198) :

" هي طريقة في الكلام الذي يعبر بها الشخص عن خلاف ما يقصده بالفعل " .

عرّفها (المازني ، د.ت ، ص302) :

" العبارة عما يثيره المضحك أو غير اللائق من الشعور بالتسليّ أو التقرّز على أن تكون الفكاهة عنصراً بارزاً والكلام مفرّغ في قالب أدبيّ " .

عرّفها راغب (1996م ، ط1 ، ص179) :

" السخرية في الأدب هي العنصر الذي يحتوي على توليفة دراميّة من النقد ، والهجاء ، والتلميح ، واللّماحية ، والتهكم والدعابة ؛ وذلك بهدف التعريض بشخص ما أو مبدأ أو فكرة أو أي شيء ؛ لتعريضه ، بإلقاء الأضواء على الثغرات والسلبيات وأوجه القصور فيه " .

عرّفها عبد الحميد (2003م ، ص52) :

" السخرية أحد أشكال المقاومة أو قوّة خاصّة للمقاومة " .

عرّفها سامية مشتوب (2011م ، ص11) :

" هي مرادفة لكل معاني الاستهزاء والاستخفاف ، وتركز على تبيان عيوب الآخر جسديّة كانت أو

نفسية أو مادية " .

إذن ، فالتعريف الإجرائي للسخرية :

هي أسلوب ومنهج وطريقة وأداة ونتاج لموضوع جدّي بقالب أدبيّ وفنيّ ، يتخلله النقد والهزء والمقاومة للأفراد والجماعات بالإيحاء لا بالتصريح ؛ لمحاربة العلل ؛ وتقويم العيوب، و قوامه الدراية ، والذكاء ، والخفاء ، والفكاهة ، والإضحاك ، والإمتاع ، والتشويق ، والتأثير .

الفصل الثاني

الإطار النظري والدراسات السابقة

الفصل الثاني

الإطار النظري والدراسات السابقة

الإطار النظري:

من الكتب التي تناولت الأدب الساخر بصورة تطبيقية أو تنظيرية :

1- شيخون (1978 م) ، في كتابه الموسوم ب (الأسلوب الكنائّي "نشأته وتطوره وبلاغته "). أشار إلى مفهوم الكناية في الأدب والنقد القديم والحديث، وعرض صور الأسلوب الكنائّي ، وأوضح الأثر البلاغيّ له ، كما تحدث عن الأسلوب الكنائّي في القرآن الكريم. أفاد الباحثة في معرفة مفهوم الكناية في مؤلفات القدماء والمحدثين من علماء البيان العربي ، ومعرفة أسرار الكناية البلاغية وصورها ، والاطّلاع على بعض الشواهد التي تبرز فيها جماليّة الكناية وسحرها .

2- شرف (1992م) ، في كتابه الموسوم ب (الأدب الفكاهي) .

بيّن إن الأدب الفكاهيّ من أكثر ألوان الأدب استهواءً للناس ، ووسيلة من وسائل تجديد الذات عند الفرد والمجتمع ، كما أشار إلى ماهيّة الأدب الفكاهيّ ووظيفته ، إذ يرتكز على الإضحاك والضحك والتقويم والتهديب والإصلاح بنقد أنواع من النقص أو القبح أو الخروج عن المألوف ، ويشترط في النقد ألا يجرح كما يجرح الهجاء ، ثم انطلق لإبراز رؤية الفكاهة عبر الأجناس الأدبيّة من شعر ورواية وقصة ومسرحية في الأدب العربيّ .

وأوضح إن الأدب الفكاهيّ ملكة إنسانيّة وحضور بديهية ، وأسلوب كتابة لوصف الحياة الواقعيّة ، وبث روح الفكاهة بتجسيد شخصيات وإبراز مواقف مثيرة للضحك .

أفاد الباحثة في التعرف على ماهية الأدب الفكاهي ، والأساليب الفكاهية في الفنون النثرية كالقصة والمقامة والرواية والمسرحية ، والتعرّف على أبرز الأدباء المعاصرين الذين امتازوا بأساليبهم الساخرة .

3- هيكل (1994م) ، في كتابه الموسوم ب (تطور الأدب الحديث في مصر) أشار إلى الحالة الثقافية والأدبية في العصر الحديث ، ونشأة فن المقالة وظهورها كطريقة فنية للنثر الحديث وتميزها عند عدد من الكتاب أمثال طه حسين وعباس محمود العقاد ومصطفى صادق الرافعي وأحمد حسن الزيات وإبراهيم المازني .

أفاد الباحثة في معرفة الجوانب الفنية للمقالة الأدبية .

4- عوضين (1997م) ، في كتابه الموسوم ب (المازني ساخر العصر الحديث) .

ذكر مسيرة حياة المازني وتتبعها من خلال كتاباته التي يرسمها بقلمه ، إذ يعدّ المازني من طليعة الكتاب الذين تحملوا مسؤولية الكتابة الوطنية والقومية وتحدث بجرأة وشجاعة وصدق ، ويعدّ من أبرز رواد فن المقال القصصي والفكاهي في الصحافة العربية عامة والمصرية خاصة ، وقد تبين الأسلوب الساخر للمازني في كتابه (حصاد الهشيم) ، الذي يمثل أسلوباً فنياً مبدعاً ناقداً لاذعاً ساخراً فكاهياً ، كما يتلاءم أسلوبه الكتابي مع النشر في الصحف والمجلات ومخاطبة القراء جميعهم .

أفاد الباحثة في قراءة بعض المقالات الساخرة للمازني ، والتعرّف إلى أسلوبه الساخر الناقد من خلال هذه المقالات ، وبعض الآراء النقدية حول مقالاته من حيث اللغة والأسلوب .

5- إبراهيم (2002م) ، في كتابه الموسوم ب (أبو حيان التوحيدي أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء) .

أشار إلى سيرة حياة التوحيدي (ت 414هـ) وشخصيته وإنتاجه ، كما بيّن الجوانب الفلسفية في أدبه وأطلق عليه تسميات منها ، فيلسوف التوحيد ، و فيلسوف التساؤل ، و فيلسوف الإنسان ، و فيلسوف التشاؤم ، و فيلسوف الفكاهة ، و فيلسوف الفن ، و عرض نماذج من كتاباته تبرز فيها فلسفته .

أفاد الباحثة في معرفة أسرار عبقرية التوحيدي وفلسفته ، ومعرفة الجانب الفكاهي في كتاباته .

6- الكيلاني (د . ت) ، في كتابه الموسوم ب (رسائل أبي حيان التوحيدي مصدرة بدراسة عن حياته وآثاره وأدبه) .

أوضح إنّ التوحيدي يحتذي أسلوب الجاحظ (ت 255 هـ) في الاستطراد والمزج بين الجد والهزل ، كما بيّن ما تمتع به التوحيدي من جرأة وشجاعة ومجاهرة برأيه في الناس ، وإنه وجد في الفكاهة وسيلة لإنكار الواقع ؛ ولانتقاده الخارجين عن الصواب ، والسخرية من سلوكهم ومذهبهم ؛ ليردهم عن فسادهم ، وأعلى مظاهر السخرية لديه وصلت حد الهجاء والذم في (مثالب الوزيرين) وهما ابن العميد والصاحب بن عباد ؛ فوقف عند معاييب كثيرة لهدف أخلاقي واجتماعي بأسلوب ذكي وسخرية لاذعة تبعث على الضحك .

أفاد الباحثة في الاطلاع على نماذج من كتاب مثالب الوزيرين ، وبروز الجوانب الساخرة فيها ، والتعرف على أسلوب التوحيدي الذي امتاز بالهزء والسخرية والضحك .

7- الدسوقي (2007 م) ، في كتابه الموسوم ب (شعريّة الفن الكنائي بين البعد المعجمي والفضاء الدلالي المنفتح) .

ذكر عناية علماء البلاغة بطرائق البيان وبلاغة الأداء اللغوي في التراث الأدبي والنقدي ، ودراسة فنون التعبير الأدبي ولا سيما الكنائي منها بوصفه فناً من فنون التعبير ، كما أشار إلى مؤلفات تناولت مبحث الكناية من حيث المفهوم والاختلاف في باب المجاز والحقيقة ، وغاية الكناية في

بنية العمل الأدبيّ ، وبين إشكالية الحقيقة والمجاز في الفن الكنائيّ في الفكر العربيّ القديم والحديث ، وأدبيّة التعبير الكنائيّ ، ومستويات الفضاء الدلاليّ للكناية على المستوى الدلاليّ القريب أو البعيد أو الغائم أو المتداخل .

أفاد الباحثة في الاطلاع على دراسة التعبير الكنائيّ، والشاعرية التي تتولد فيه، ورصد سماته، والقرينة التي تتكئ عليها الكناية، ومعرفة التصور العام لصور التعبير الكنائيّ ، ووظيفته ، وجماله في بنية الدلالة العامة للنص .

الدراسات السابقة

لم تعثر الباحثة على دراسات سابقة تتناول التعبير الكنائي في الأدب الأردني الساخر ، إلا أن هناك الكثير من الدراسات التي عنيت في موضوع السخرية في الأدب شعراً ونثراً ، ومنها :

1- لمفوف (1984م) ، في رسالتها الموسومة ب (الكناية في ضوء التفكير الرمزي) .

رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة .

أشارت إلى مفهوم الكناية عند البلاغيين القدماء والمحدثين والرؤية الرمزية في الأسلوب الكنائي ، كما عرضت دراسة تحليلية لأمثلة شعرية من الكناية في ضوء التفكير الرمزي ؛ لبيان مدى ثراء اللغة الشعرية بها، وتتبع معانيها اللغوية من خلال السياق الذي وردت بها الألفاظ الكنائية وما لها من أبعاد رمزية .

أفاد الباحثة في معرفة مفهوم الكناية عند البلاغيين والغرض منها .

2- الغزالي (1414هـ) ، في رسالته الموسومة ب (أساليب السخرية في البلاغة العربية) .

رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

أشار إلى مفهوم السخرية بين المدلول اللغوي والاستعمال الفني، كما أوضح السخرية في علم المعاني، وتناول التعريف الساخر، والأساليب الساخرة من خلال الاستفهام والأمر والتوبيخ والنداء والتكرار، وأشار إلى السخرية في علم البيان من خلال التشبيه الساخر والاستعارة الساخرة والكناية الساخرة، وبين السخرية في علم البديع بالاستطراد الساخر والمبالغة والتجاهل والتهكم والاقْتباس والتضمين الساخرة ومدى صلة هذه الأساليب بالسخرية كما عرض أمثلة شعرية ونثرية مختلفة.

أفاد الباحثة في معرفة الأساليب الساخرة في البلاغة العربية، وتحليل نماذج وشواهد شعرية ونثرية تمثل الأدب الساخر.

3- الضمور (2005 م) ، في أطروحته الموسومة ب (السخرية في النثر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري) . أطروحة دكتوراة ، جامعة مؤتة ، الأردن .

أشار إلى تطور السخرية والفكاهة في العصر العباسي والتأليف الأدبي في الفكاهة والسخرية ومظاهرها وقد ذكر أبرز أدباء السخرية أمثال الجاحظ وأبي العيناء وبديع الزمان والتوحيدي، مع الإشارة إلى الأساليب الفنيّة في أدب السخرية .

وقد أفادت الباحثة في معرفة مظاهر السخرية في العصر العباسي، وأبرز أدباء السخرية والفكاهة آنذاك، والاطلاع على التحليل الفنيّ للأسلوب الساخر من حيث الألفاظ واللغة والمعاني.

4- الوقفي (2007 م) ، في أطروحته الموسومة ب (الإبلاغية في الشاهد البلاغي) . أطروحة دكتوراة، جامعة مؤتة ، الأردن.

بيّن بعض ألوان البيان والبديع في دراسة تطبيقية جمع فيها بعض الشواهد الشعريّة من المصنفات البلاغيّة القديمة ، واستجلاء الطاقات الكامنة في الشاهد البلاغيّ لدى القدماء ، وتحليل الشواهد وبيان اللغة الفنيّة في الشاهد البلاغيّ والتأثير في المتلقي وإيقاظ عناصر الاستجابة لديه ، كما أوضح مفهوم الكناية عند البلاغيين والنفاد القدماء، ودورها وأثرها في المتلقي وحفره على اكتشاف المعنى المتواري .

وقد أفادت الباحثة في معرفة مفهوم الكناية عند البلاغيين ، والاطّلاع على نماذج وشواهد شعريّة تمثل الأسلوب الكنائيّ في الشاهد البلاغيّ .

5- عمرو (2008 م) في رسالتها الموسومة ب (السخرية في العصر المملوكي الأول " 648 - 784 هـ ") . رسالة ماجستير ، جامعة الخليل .

ذكرت علاقة السخرية بالمجتمع وأنواعها وأساليبها وأسباب اللجوء إليها ، وإن السخرية قد تكون من ملامح الإنسان الخارجي في الشعر ، أو من الجوانب المعنوية في ذات الإنسان وحياته ، أو من فئات اجتماعية مختلفة ، والتحليل الفني للشعر من حيث اللغة والأسلوب والصور الفنية والفنون البديعية .

أفادت الباحثة في معرفة دوافع السخرية وأنواعها في الشعر في العصر المملوكي ، وتراجم لأبرز شعراء ذلك العصر ، والدراسة الفنية للأساليب الساخرة في الشعر من حيث اللغة والأسلوب والصورة الشعرية .

6- الذبياني (1431 هـ) ، في رسالته الموسومة ب (السخرية في شعر البردوني) . رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية .

ذكر إن طابع السخرية يغلب على شعر البردوني في معظم جوانبه ، وأشار إلى دوافع السخرية لدى البردوني وأساليب السخرية في شعره ، وإن سخريته سخريته ناقد مصلح يبرز العيوب للتخلص منها .

أفادت الباحثة في معرفة أبرز الدوافع الذاتية والخارجية للسخرية عند البردوني ، والاطلاع على شواهد شعرية تمثل أسلوبه الساخر وتحليل هذه الشواهد تحليلاً فنياً .

7- طبشي (2010 م) ، في رسالتها الموسومة ب (النزعة الساخرة في قصص السعيد بوطاجين) . رسالة ماجستير ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، الجزائر . أوضحت الأسس التي قامت عليها السخرية لدى السعيد بوطاجين ودلالاتها وأبعادها ، وقد بينت أسبابها وأهدافها ووظائفها وأثر المرجعية الثقافية للسعيد بوطاجين في بروز أسلوب السخرية ومضامينها في

قصصه ، والمزج بين التلميح والتصريح ، والاعتماد على المنهج الاجتماعيّ في تسليط الضوء على أهم الموضوعات التي سخر منها بوطاجين والمنهج النفسيّ في معالجة النصوص الإبداعية .

أفادت الباحثة في معرفة المفهوم الاصطلاحيّ للسخرية عند الكثير من الباحثين ، والاطّلاع على مضامين السخرية لدى بوطاجين من خلال عرض نماذج من الألفاظ والتراكيب الساخرة ودلالاتها ، والتعرف على تحليل الأسلوب الفنيّ للسخرية في قصص السعيد بوطاجين .

8- مشتوب ، (2011 م) . في رسالتها الموسومة ب (السخرية وتجلياتها الدلالية في

القصة الجزائرية المعاصرة) . رسالة ماجستير ، جامعة مولود تيزي وزو ، الجزائر .

ذكرت إنّ أسلوب السخرية طابع في الأدب و القصة الجزائرية وهدف وعنصر وميزة من ميزاته الفنية ، وأشارت إلى المفارقات الأسلوبية والخطابية الساخرة ، وتفاعل الشخصيات القصصية مع الأحداث وسعيها لتحسين الوضع وتحقيق التوازن والتكافؤ الاجتماعيّ في ظل الظلم والفساد ، ولكنّ الشخصيات تنهار بفعل القمع والاضطهاد فلا يبقى لها سوى أن تسخر من الوضع وتستنكره ، فتتمرد وترفض الواقع المعيش .

أفادت الباحثة في معرفة الأساليب اللغوية الساخرة التي يوظفها الكاتب الجزائريّ في تركيب النص القصصيّ الساخر ، وارتكازه على المفارقات اللفظية التي تؤدي لدلالات خفية ، وإن السخرية منهجية دفاعية وموقف انتقاديّ لمواجهة الظواهر السلبية ووجه آخر من وجوه التمرد والرفض .

الفصل الثالث

المبحث الأول : مفهوم السخرية

المبحث الثاني : نشأة الأدب العربي الساخر

الفصل الثالث

المبحث الأول

مفهوم السخرية

لقد ورد ما يدل على معنى السخرية في القرآن الكريم ومن ذلك :

قال تعالى : " لا يسخر قوم من قوم " (سورة الحجرات آية 11) ، يقال سخرت منه ولا يقال سخرت به .

وقال تعالى : " فيسخرون منهم سخر الله منهم " (سورة الصافات آية 14) أن يدعو بعضهم بعضاً إلى أن يسخر أي يسخرون ويستهزؤن . (ابن منظور ، ص 352)

من أهم معاني السخرية الاستهزاء (الزمخشري ، د.ت ، ج1 ، ص35)

والسخرية فن لا يتقنه ولا يجيده إلا الأذكياء والبارعون في التعبير عن الكلمة بحذق ولباقة وذكاء .

(القيرواني (ت 493هـ) ، 2001م ، ط1 ، ص190)

ولقد عرض للسخرية عدد كبير من الباحثين ، وأشاروا إلى دلالتها وجوهرها ، ومن هذه الآراء ما يلي :

" السخرية طريقة من طرق التعبير يستعمل فيها الشخص ألفاظا تقلب المعنى على عكس ما يقصده حقيقة ، وهي صورة من صور الفكاهة إذا استخدمها فنان موهوب بذكاء وأحسن عرضها ، وتكون في يده سلاحاً مميّناً " . (طه ، 1978م ، ص14)

و " هي أداة ناجحة في يد الفلاسفة والأدباء ؛ لبيان رأيهم في الصراعات الفكرية والاختلافات الجماعية المختلفة ، كما لجأ إليها رجال السياسة ؛ للتندر بخصومهم وما يمثلون من أفكار أو مبادئ مما يجعلها أسلوباً يقوم على اللذع الخاص الذي يكون جارحاً أحياناً " . (الهوال ،

1983م، ص 17) و" منهج جدلي يعتمد على الاستفهام بمفهومه البلاغيّ إذ تغير طريقه في توليد

الثنائية ، والتعليم على البعد المعرفي " . (علوش ، 1985م، ص110)

وكذلك " السخرية أسلوب أو سلاح عدائيّ ومهما صغرت درجاتها أو كبرت، ويتميز عن غيره من

أساليب العداة بأنه مصوغ بروح الفكاهة وأسلوبها " . (حنفي ، 1987م ، ص 15)

" وطريقة في التهكم المرير أو التندر أو الهجاء الذي يظهر فيه المعنى بعكس ما يظنه الإنسان،

وربما أعظم صور البلاغة عنفاً وإخافة وقتكاً، و السخرية أدب الضحك القاتل، والهزة المبني على

شيء من الالتواء والغموض " . (عمر ، 2000م، ص 68)

" وطريقة فنيّة أدبيّة ذكيّة لبقّة في الإبانة عن آراء ومواقف ذات رؤية خاصة وبصبغة فنيّة متميّزة،

"ونوع من التّأليف الأدبيّ أو الخطاب الثقافيّ الذي يقوم على أساس الانتقاد للذرائل والحماقات

والنقائص الإنسانية الفردية والجمعية وكأنّها عمليّة رصد أو مراقبة لها وتكون في أساليب خاصة

منها التهكم، والهزل، والإضحاك؛ كل ذلك في سبيل التخلص من خصال وخصائص سلبيةّ " .

(عبد الحميد ، 2003م ، ص 51)

" وأسلوب نقديّ هازئ هادف في التعبير عن أفعال معينة كعدم الرضا بتناقضات الحياة، وتصرفات

الناس وكشف الحسرة والمرارة بطريقة غير مباشرة بعيداً عن العاطفة الجامحة والانفعال الجاد؛ قصد

الإصلاح والتقويم والتغيير نحو الأحسن؛ وطلباً للتفيس عن الآلام المكبوتة " . (بوحجام ،

2004م ، ص 14)

" فالسخرية أدب الضحك القاتل والهزة المبنيّ على شيء من الغموض ، ودواعي هذا الغموض

كثيرة ومتنوعة منها ، حرص الأديب على حياته حيناً ، ومنها رغبة في إخفاء غضبه حيناً آخر ،

ومنها علو كعبه في العلم والثقافة حيناً آخر ، ولا غرو في هذا فالعلم يشحذ الذكاء ، والذكاء

يسعف صاحبه عادةً في هذا الموطن ، فنرى الأديب المثقف ينال من خصمه في هذه الحالة بطريقة ملتوية و بطريقة ساذجة " . (فاعور ، د.ت ، ص14)

" والسخرية قدرة الشاعر في اتباع حيثيات خاصة تعينه على تحقيق الاستخفاف والهزء بالطرف المهجو إلى الحد الذي يثار معه عامل الضحك لدى المتلقي وهذا ما يستدعي إبداعاً ومقدرة عاليتين من قبل الشاعر؛ للنهوض بهذه المهمة الشعرية في الفن الهجائي " . (الحاوي، د.ت، ص10)

" والسخرية من الفنون الفكاهية وأسلوب من أساليب التعبير عن الواقع الإنساني والاجتماعي والسياسي بعين هازلة لا تخلو من النقد، فيعبّر بها الشخص على عكس ما يقصده في حالة تهكم واستهزاء " . (قمحية، ط1 ، ص8)

" وأداة تعليمية تجعل الآخرين يبتعدون عن الصورة المنحرفة ؛ كي لا يصبحوا مثاراً لضحك هو بمثابة عقوبة اجتماعية " . (عكاري، ط1، ص29)

" والسخرية في الشعر طريقة تعبيرية متطورة توصل بها الشعراء؛ لنقد الأوضاع السياسية والاجتماعية والسير الفردية والنيل منها بأسلوب يترفع عن الشتيمة والسباب المحض ويتنزه عن القذف والإيغال في الفحش ورفث القول " . (التميمي ، د.ت ، ص356)

" وتمثل السخرية وظيفة اجتماعية، فهي أسلوب نقدي يهدف إلى بناء الحياة، فهذا النقد يساعد على تثبيت السمات التي تتسجم مع المجتمع من مكارم الأخلاق والصدق والوفاء...، وعلى محاربة الانحرافات الاجتماعية فيحسّ بتناقض المجتمع ثم يكون ذا روح ومرح ضاحك يتناول العالم بأساليب السخرية المختلفة ، فالسخرية سلاح لمجاهدة نقائص المجتمع وتوجيه الأفراد إلى سلوك اجتماعي قويم " . (بوحجام ، 2004م ، ص23)

" والسخرية ذات وجه مأساوي ينطوي عليه فجيرة مذهشة إزاء لا معقوليات البشر والخديعة في هذا

العالم "، " وتعويض؛ ليعيد للمثل توازنها والكشف للحقائق ". (عكاري، ط1، ص 27)

والجدير بالذكر أنه من الصعب وضع مفهوم محدد للسخرية؛ لتعدد بواعثها، ولكن يمكن القول إن السخرية من أغراض الأدب شعره ونثره، وهي واقع تعبيريّ بين أفراد المجتمع تكون صدئاً للحالة السياسيّة أو الاجتماعيّة أو الثقافيّة، قد تنجح في تصوير ظاهرة ما؛ لما يحتويه من إضحاك وممتعة، وقد يجد فيها الشعراء والأدباء وسيلة للترويح عن النفس.

فالسخرية تحتاج إلى قدر كبير من الذكاء والخفاء، وتبنى على العقل، وتقوم على الثقافة وسعة العلم في التعبير عن آراء خاصة بطريقة متميّزة وغير مباشرة، وبأسلوب نقديّ لبلوغ هدف معيّن قد يتمثل في الإصلاح والتقويم، أو محاولة التنفيس عن آلام مكبوتة كانت نتيجة أسباب معينة.

كما تهدف السخرية إلى أغراض تتصل بالمجتمع وما فيه من مبادئ فاسدة وشخصيات بارزة أو طبقات منحرفة أو طبقات مهيمنة، وتهدف إلى الضحك المبطن بنوع من النقد الموجّه الهادف إلى وضع اليد على علة ما، أو تصحيح وضع فاسد، أو توجيه نحو سبيل سويّ، أو تغيير لحالة اجتماعيّة أو سياسيّة فاسدة، وبالتالي هي مرآة تعكس الواقع بصورة ساخرة ومعبرة.

إنّ السخرية يقصد فيها الإيلاء والنقد اللاذع إلى جانب إبعاث الضحك، لا مجرد الضحك فقط. فالسخرية فن قائم بذاته، ومضمار تنافس وإبداع، ودور السخرية هو جذب المتلقي وشدة إضحاك الناس وزرع وبث الوعي في النفوس، فالساخر يؤدي رسالته في الحياة، وهي رسالة حضاريّة شريفة وشاقّة، ويستطيع أن يصل إلى إعطاء صورة كاملة للواقع، ويقدر على مقاومة النقائص الاجتماعيّة الموجودة في الواقع، فهو يسعى إلى محاربة الاعوجاج والتصلب الذي يضر به لأنه إنسان رقيق، عميق الإدراك لطبائع النفوس وحقائق الوجود والكون، معتز بحياته، منتم لمجتمعه محبّ للإنسانيّة يمنحها كل اهتمامه.

وبعد أن عرضت مفهوم السخرية وقفت من خلال التمهيد على معنى السخرية؛ لكي أصل إلى ما أريد في هذه الدراسة وهو أن أبحث عن السخرية في الأدب العربي ولا سيما عند الكاتب الأردني أحمد حسن الزعبي ، وكشف قناع الساخر المبدع وميزات نتاجه لإبداع الصورة الساخرة .

المبحث الثاني

نشأة الأدب العربي الساخر

عرفت العصور والمجتمعات منذ القدم أصنافاً من الناس ينسجون الفكاهة ، والدعابات ، والنوادر ، والسخریات فيتعجب بها ، ولكن في زمن الجاهلية لم تكثر الفكاهة أو السخرية حيث إن البيئة الصحراوية بعيدة عن التحضر والترف اللذين تتطلبهما الفكاهة والسخرية ؛ لأن مشقات الحياة بما فيها الترحال والعادات وقلة المصادر الطبيعية أدت إلى إرهاق جسدي لدى الإنسان العربي فجعلته بمعزل عن الفكاهات ، فكانت أساليب السخرية قليلة أو ضعيفة عندهم ولم يصلنا إلا القليل. (قمحية ، 1989م، ط1، ص 78)

ورغم وجودها القليل آنذاك إلا إنها كانت مرتبطة بالغضب والهزاء والذم والتعريض، حيث يكون الهزاء مع فظاظته وخشونته نوعاً من السخرية على رغم ما يبعثه في نفس المهجو من الضيق والألم، فإنه يثير الضحك عن طريق إبراز العيوب وتجسيمها والمبالغة في تصويرها إلى الدرجة التي تجعل المهجو غير ملائم للصور الطبيعية التي يجب أن يكون عليها الكائن. (بوحجام، 2004م، ص225)

فالسخرية كانت تتمظهر خاصة في الهزاء، حيث قويت المناظرات والمشاحنات، وتتصل بنظام القيم تمتزج بانفعال الضحك، وفيها من السبّ والشتم والتعريض، فهي هزاء فظّ مباشر.

ويمكن القول إنه قد وردت أمثلة قليلة في الأدب الجاهلي لا تبين صورة السخرية وطبيعتها وأساليبها ، ولا تدل قلتها أو نفيها على ضياع كثير من الشعر والنثر في فترة ما قبل الإسلام ، فلا بد أنه كانت هناك سخرية في الجاهلية قد ضاعت ولم يصل منها إلا القليل، وما وصل لا يظهر منه أنها لم تكن عميقة، بل كانت سهلة بسيطة تبعاً لحياتهم غير المعقدة، وخفيفة الوقع لا تعدو

السخرية الفطرية التي يكتفون فيها باللحمة والتعريض دون إلاح أو تنويع في أساليبها الموجعة، لذلك لم توجد في العصر الجاهلي إلا بقدر يسير للغاية لا يكاد يظهر نظراً للطبيعة القبلية والبيئية واندماج الشعراء داخل مجتمعاتهم .

ومن ذلك ما قاله حسان بن ثابت في هجائه لبني عبد المدان بطول أجسامهم وبدانتهم :

لا بأس بالقوم من طول ومن غلظ جسم البغال وأحلام العصافير

إنّ في تشبيهه حسان لأجسام بني المدان بالبغال وعقولهم بعقول العصافير، موقف

ساخر حاول من خلاله تبيان العيوب الجسدية والنفسية لهم. (البرقوقي، 1983م، ص 270)

بينما كان لظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية أثر كبير في تراجع حدة الهجاء

حيث حرّمت الصراعات والنزاعات وانتهاك الحرمات ؛ مما أدى لتراجع فن السخرية خاصة وإنّ

الإسلام قد نهى عنه في عدّة مواضع في القرآن الكريم، ونهى عن السخرية المفسدة التي تؤدي إلى

القطيعة والبغضاء ؛ لما فيها من حقد وحسد ، فقال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من

قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيراً منهن " (سورة الحجرات آية

11)، فيبدو أنّ المنهي عنه ليست السخرية التي تؤدي إلى الإصلاح الاجتماعي والسياسي ولكنها

المفسدة التي تجتمع مع اللمز والتنايز بالألقاب والظن السيء.

والقرآن وردت فيه معاني السخرية وألفاظها رداً على كل ما يفعله المشركون ولكن في الحدود

التي رسمها القرآن الكريم منهاجاً لها حتى تصلح عيوب المشركين، وتدعوهم إلى سواء السبيل.

(طه ، 1978م، ص1)

وفي تلك الفترة نشبت معارك كثيرة هائلة بين الإسلام والمشركين، واستخدم المشركون فيها

سلاح السخرية إلى جانب أسلحة أخرى ضدّ الرسول -صلى الله عليه وسلم - فكانوا يحضرون

المساجد فيسمعون أحاديث المسلمين ويسخرون من دينهم (طه ، 1978م، ص9)، كما جنّدت

قريش كل شعرائها؛ لقذف الدعوة المحمديّة والتجريح في الإسلام والمسلمين، وما كان من هؤلاء المسلمين سوى الرد بالمثل؛ ليظهر مصطلح الهجاء السياسيّ خاصة مع بداية انتشار الإسلام واتساع رقعته. (مشتوب ، 2011م ، ص14)

وقد استمدت السخرية غالباً من جانب المشركين؛ لأنهم المنهزمون عقلياً وروحياً، فاستخدموا هذا السلاح مع ما استخدموه من أسلحة ضدّ الرسول -صلى الله عليه وسلم- . (طه 1978م، ط1، ص 12)

إذن فالسخرية في العصرين الجاهلي والإسلامي كانت خفيفة بسيطة غير عميقة تبعاً لنفسية الجاهليين والإسلاميين وحياتهم، ولكنّها عادت للظهور من جديد مع عودة الهجاء في العصر الإسلامي.

أمّا في العصر الأمويّ فقد ازداد تطور فن السخرية وانتشاره مع بداية الخلافة الأمويّة، حيث انتشر الإسلام تقريباً في جميع أرجاء الجزيرة العربيّة ؛ لأنّه ومع تحول نظام الحكم من شوري إلى ملكي وراثي ؛ نشبت الصراعات السياسيّة والخلافات الحزبيّة (عطوان ، 1974م ، المقدمة) ، واتسعت رقعة الدولة ، وبرزت مظاهر الترف فيها ، وكثرت مجالس السمر ، فتطورت السخرية أكثر من ذي قبل ، وازداد عدد تجار الفكاهات والنوادر في الحجاز ؛ لإبعاد الناس عن التفكير في السياسة ، كما ظهر تنافس شديد بين من اقتحموا حقل السخرية مما شجعهم أن يتركوا نتاجات تضمنت السخرية وأساليبيها . (مروة ، 1991م ، ط1 ، ص14)

وقد انتشر هذا اللون بصورة كبيرة لأسباب كثيرة منها : التنافس على أبواب الخلفاء والولاة وأصحاب الجاه والسلطان ؛ بغية التقرب والتكسب منهم والعيش في نعيمهم ، وانقسمت القبائل في البصرة والكوفة ، فضلاً عن بروز أحزاب منها حزب الزبيرية والشيعيّة ، فعادت العصبية القبليّة وأصبح لكل قبيلة شاعر ؛ فظهر شعر النقائض الذي يمتزج بالسخرية ومن أقطاب السخرية في هذا

العصر الأخطل (ت 219 هـ) وجرير (ت 202 هـ) والفرزدق (ت 245 هـ) ، وقد نشبت بينهم سجالات هجائية ساخرة . (عبد الرحمن ، د.ت ، ص 46)

ومثال ذلك ما قاله الأخطل في بني كليب (قبيلة جرير) : (طراد ، 1995 م ، ص 227)

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأمهم بولي على النار

فتمسك البول بخلاً أن تجود به وما تبول لهم إلا بمقدار

وما قاله جرير في ذمه لنساء تغلب (قبيلة الأخطل) وقذفهن في شرفهن وأخلاقهن :

(الصاوي ، د.ت ، ص 236)

نسوان تغلب لا حلم ولا حسب ولا جمال ولا دين ولا خضر

وما قاله جرير في الفرزدق يطعنه في أخلاقه، إذ يصور قلة دينه: (الصاوي، د.ت، ص

(436

فإنك لو تعطي الفرزدق درهماً على دين نصرانية لتنصراً

فعرف الهجاء في هذه الفترة أوج مراحل تطوره، واتخذت السخرية طابعاً سياسياً حزبياً

(عطوان ، 1974م، المقدمة)، وتجسدت السخرية بارزة في شعر النقائض التي تمثل مظهراً من

مظاهر تطور الهجاء، مما كان عليه في عصر ما قبل الإسلام.

إذن فالسخرية ولغاية العصر الأموي بقيت مرتبطة بالهجاء والمناظرات، ويميزها عنصر

الإضحاك وتعمد الإساءة إلى المهجور .

أمّا في العصر العباسي فقد استمرت الحالة المترفة ، وامتزجت الشعوب من أجناس مختلفة

منها التركيّة والفارسيّة والهنديّة وغيرها بالعرب ، وأثرت بالغ الأثر في ارتفاع العقليّة العربيّة

وتطورها ، فكان لراقي تلك العقليّة وازدياد نموّها الثقافيّ واحتكاكها الاجتماعيّ أثره في تطور

السخرية وشيوعها ؛ لأن تطور السخرية يكمن في تطور الإنسان عقلياً ، فلا غرابة أن يظهر العديد

من الأدباء الذين اُتسم أدبهم بالسخرية ، كبشار بن برد(ت168هـ) وأبي نواس(ت199هـ) وابن الرومي(ت283هـ) وابن المقفع (ت 142هـ) والجاحظ (ت255هـ) وبديع الزمان الهمذاني(ت395هـ) وأبي العلاء المعري (ت499هـ) وغيرهم . (محمد، 1993م، ط1، ص271) فأبو نواس مثلاً يسخر من التقليد وهيمنة الماضي على الحاضر دون مراعاة الخصوصيات الإبداعية لكل عصر فتمرد على القصيدة الطللية قائلاً : (فاعور، 1994م ، ص 35)

دع الأطلال تسفيها الجنوب وتبلي عهد جدتها الخطوب
 وخذل لراكب الوجناء أرضاً تخبّ بها النجبية والنجيب
 ولا تأخذ عن الأعراب لهواً ولا عيشاً فعيشهم جديب

وابن الرومي في ذمّه لشخصا اسمه عمرو يقول: (ابن الرومي، 1994م، ج3، ص 139)

وجهك يا عمرو فيه طولٌ وفي وجوه الكلاب طولٌ
 فأين منك الحياء قل لي يا كلبٌ والكلب لا يقول
 ثم يقول :

والكلب وافٍ وفيك غدراً ففيه عن قدره سُقول

وابن المقفع في كتابه كليله ودمنة يعمد إلى تنبيه الإنسان إلى حقّه الضائع والعمل على

استرجاعه من خلال تكلمه على الملوك في قصته (الملك والطير فنزة) يقول مخاطباً الملك : "

ترحاً للملوك الذين لا عهد لهم ولا وفاء ، وويل لمن ابتلي بصحبة الملوك الذين لا حميم لهم ولا

رحيم ولا يحبون أحداً ، ولا يكرم عليهم إلا من يطمعون عنده في غناء أو يحتاجون إليه فيقرّ

بوجه عند ذلك ويكرمونه فإذا قضوا منه حاجتهم فلا ودّاً ولا إخاء ولا البلاء الحسن مجازئ

عندهم ، ولا الذنب مغفور وليس أمرهم إلا الفخر والزّياء والسّمعة .." (ابن المقفع، د.ت، ص

وأبو العلاء المعري واجه الحياة بالسخرية والنفاذ إلى صميمها والتخلص من عوائقه يقول:

(البطليوسي، 1991م، ص 119)

أراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن النبأ النبيث

لفقدي ناظري ولزوم بيتي وكون النفس في الجسم الخبيث

وكان للحضارة الأجنبية من فارسيّة وهنديّة وسرياليّة تأثير كبير في الحياة السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة، فعكس الأدب هذا الواقع في شتى وجوهه، فتغير الأسلوب وتغيرت الموضوعات، فانتسعت السخرية وتطورت خاصة في ذلك المجتمع الذي انتشر فيه الترف ورغد العيش وشاعت فيه الفكاهة، فظهر العديد من الشعراء والكتّاب وأصبحت السخرية لا تعبر عن ردة فعل معينة ، وإنما تلازم الشخصية في كل المواقف عند من اكتملت شخصيتهم الساخرة وتشربوها للتنفيس والترويح عن النفس . (طه ، 1978م، ط1، ص 242)

إذن فالتطور الكبير في العصر العباسي في مظاهر الحياة السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والعمرانيّة والثقافيّة كافة؛ لعله التطور الحضاريّ الذي كان سبباً رئيساً أدى إلى شيوع فن السخرية .

كما تطور الأدب في العصر العباسي ؛ لاختلاط العرب بالأقوام والأجناس ؛ مما أسهم في رقيّ الثقافة العربيّة وتنوعها وأسهم في تطور النثر عموماً ؛ لأنه وجد أفكاراً جديدة تحتاج إلى صور جديدة تقربها للأذهان .

ومع بداية العصر العباسيّ وازدهار الآداب والفنون، عرفت السخرية نقلة نوعيّة توضحت معالمها وبدأت قواعد الأولى تترسخ كفنّ قائم بذاته؛ لذا كانت هذه الفترة بداية فعليّة لظهور الأدب الساخر خاصة وأنّ العديد من الكتّاب والشعراء جعلوا منها أسلوبهم الخاص في الكتابة والتعبير عن رؤاهم للوجود، وواقعهم إزاء الواقع وتناقضاته. (مشتبوب ، 2011م ، ص 18)

ويمكن القول إنّ النثر العباسيّ قد خطا خطوات عملاقة من حيث النوع أو الأسلوب أو ثقافة كتابه وظهور شتى فنون النثر التي أصبحت تعبر عن احتياجات وآراء الأفراد والمجتمعات. فمثلاً قصص كليلة ودمنة لابن المقفع التي كتبت على لسان الحيوان؛ للتعبير عن الفوضى السائدة آنذاك ، وكذلك فن المقامات ورسالة الغفران لأبي العلاء المعريّ التي مزج فيها السخرية الضاحكة بالألم العميق وغيرها الكثير من المؤلفات .

أمّا الجاحظ فقد برز في فن السخرية، واتخذ المجتمع مادة لقلمه، فشقّ بذلك تياراً جديداً في الكتابة والإبداع، ويعد كتاب البخلاء من أشهر كتبه تأليفاً في مجال السخرية، ويعدّ أحد أشهر رواد هذا الفن في العصر العباسي، حيث كانت السخرية طابعه الخاص في الكتابة والإبداع حتى في أخطر المواضيع التي يتناولها سياسية كانت أم دينية أم اجتماعية. (مشتبوب ، 2011م ، ص19) إذن برزت شخصية الجاحظ الأدبية العلمية الفذة التي بلغت ما يبلغه معاصروه من الإبداع والعطاء في شتى المعارف والعلوم، حتى تباينت مؤلفاته وتنوعت، فكانت وليدة ذكاء حاد وفكر جاد حيناً ودعابة وطرفة طريفة ساخرة أحياناً أخرى.

وكتاب البخلاء دليل على التفاعل والتنوع والامتزاج الذي يجسد الأوضاع الأخلاقية والاجتماعية والثقافية في العصر العباسيّ بالإضافة إلى ما يزخر به من براعة وصفية وتحليل نفسيّ معمق لفئات متميزة في المجتمع.

عرفت السخرية رواجاً كبيراً باعتبارها أسلوباً جديداً في الكتابة والتعبير عن قضايا المجتمع في تلك الفترة.

وازدهرت السخرية في نتاجات أدباء العصر العباسي، وأخذت حيزاً واسعاً مما كتبه،

فعادت السخرية تنفرد فناً أو أسلوباً أدبياً في هذا العصر. (محمد ، 1993م، ط1، ص271)

إذن ظهرت السخرية فنّاً واضحاً وظلت تستقر وتتشكل حسب طبقات الشعراء والأدباء ومستوياتهم وشخصياتهم ومدى علاقة ذواتهم بمجتمعهم، وما يعترضه من تغيرات. بينما شاهد العهدان المملوكي والعثمانيّ تقلبات وشدائد وتحولات هامة في مناحي الحياة السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة ، حيث اختلطت القيم وتزعزعت المعتقدات لما اتخذ سلاطين الأتراك في السياسات المتشدّدة في البلدان العربيّة ، فبرز على الساحة الأدبيّة عدد من الشعراء حاولوا التعبير عن سوء أحوالهم بالسخرية ؛ لنسيان واقعهم المرير، وتمردوا بها على الأوضاع السائدة التي عمّت بلدانهم ، ورسّخوا السخرية منصبّة على الولاة المملوكين العثمانيين ، فمن هؤلاء ابن دانيال (ت696هـ) وعلي بن السودان (ت868هـ) اللذان بلغا في السخرية مبلغاً كثيراً . (محمد 1993م، ط1، ص282)

علي بن السودان يعرض بدهيات في شكل معارف خطيرة فيقول: (ضيف، 1984م، ص

(181

البحر بحرٌ والنخيل نخيلٌ	والفيل فيلٌ والزراف طويلٌ
والأرض أرضٌ والسماء خِلافُها	والطير فيما بين تينٍ يجولُ
والماء يمشي فوق رملي راکدٍ	ويرى له مهما مشى سلسول
من ظنَّ أنّ الماء يشبعُ جوعه	هذا لعمرى ذاهلٌ بهلولُ
لكنّ منْ قد نام فيه بثويه	تلقاه بلّ وثويه مبلولُ

وكانت ظاهرة السخرية في شعر الحروب الصليبيّة يعبر فيها عن الفرح بتحقيق النصر، والمزاوجة بين مشاعر الفرح ومشاعر التشقيّ، وتصوير حالة الطرف الخاسر في المعركة، والتركيز على الحالة النفسيّة للمنهزم، والعنصر المهم في تصوير تلك الحالة هو عنصر الخوف والتقابل بين الأمل وخيبة الأمل لسعة خفيفة من السخرية. (مجلة جامعة النجاح، ص2)

فابن مطروح إثر هزيمة الفرنسيين وعساكره في دمياط يقول: (ضيف، 1984م، ص 164)

قل للفرنسيين إذا جئته مقال صدق من قؤول نصيح
 آجرك الله على ما جرى من قتل عبّاد يسوع المسيح
 أتيت مصرّاً تبتغي ملكها تزعم أنّ الزمر يا طبل ريح
 فساقك الحين إل أدهم ضاق به في ناظريك الفسيح
 وفقك الله لأمثالها لعل عيسى منك يستريح
 وقل لهم إن أضمرؤا عودة لأخذ ثأر أو لقصد قبيح
 دار ابن لقمان على حالها والقيد باقٍ والطواشي صبيح

واعتمد الشعراء في رسم الصورة الساخرة على الصور المعبرة عن حس النشوة بالنصر وحس

الشماتة بالمنهزم، وتعتمد على الإمكانيات الفردية للشاعر.

وفي العصر الحديث لحق التطور كل جوانب الحياة ، فنتج شيئاً فشيئاً تحولات جذرية في

فكر المجتمعات العربية أسهم في استنهاض الشارع ، وإذكاء الوعي عنده ، فلمعت أسماء عديدة

للشعراء والكتّاب في سماء الأدب العربي ، حاولوا منح صورة واضحة عن الأوضاع الراهنة،

وتمثيلها من خلال استخدام السخرية في نتاجهم ، حيث تساعد المتلقي في الاطلاع على خفايا

الشؤون المحلية والعربية والعالمية ، فصارت السخرية فناً مستقلاً بذاتها ، وأصبح استخدامها أكثر

وعياً مما كان عليه سابقاً ، وجزّب الشعراء العرب المعاصرون والمحدثون حظّهم في مجال

السخرية، فالشعراء من أمثال أحمد شوقي ومحمد مهدي الجواهري وأحمد مطر وصلاح عبد

الصبور وعبد الوهاب البياتي وأمل دنقل ، قد استخدموا ألوان السخرية في أشعارهم ولاسيما المجال

السياسي . (عبد الستار 2007م، ص102)

أحمد مطر يرفض الواقع العربي بطريقة ساخرة: (كحوال، د.ت، ص 20)

قرأت في القرآن :

" تثبت يدا أبي لهب "

فأعلنت وسائل الإذعان :

" إنَّ السكوت من ذهب "

أحببت فقري .. ولم أزل أتلو :

" وتب "

ما أغنى عنه ماله وما كسب "

فصودرت حنجرتي

بجرم قلّة الأدب

وصودر القرآن

لأنّه حرّضني على الشغب

ولقد أسهمت السخرية بشكل فعّال ومؤثر في تحريك المشاعر، وسلكت طريقاً لخلق معركة أدبية دائمة بين المجتمع والسلطة، وتمكن العديد من الأدباء من إنتاج إبداعات أدبية تميزت بالسخرية.

وكان للسخرية تأثير في حياة الناس، وحفل الأدب بمظاهر السخرية؛ تنقيّة لمشاعر الإنسان وتخفيفاً لضغوط الحياة وارتقاء بأحاسيس البشر، فبرز شعراء وكتّاب كثيرون امتازوا وتميّزوا بهذا اللون بعدة أعمال أدبية، وصارت أسماؤهم متألقة في سماء الأدب.

وتعد السخرية أداة لإعلان موقف رافض وانتقاديّ بالنسبة للأوضاع الراهنة في جميع المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية والأدبية، ومهاجمة هذه الأوضاع، والكشف عن أسباب

ترديها عن طريق التركيز على الأخطاء السلطوية وسوء تصرفاتها في إطار يثير الضحك عند المتلقي، لكنّه في الوقت نفسه يدعو إلى تحسين أمور مجتمعه، فالسخرية سلاح ذو حدين بل إنّها أمضى الأسلحة الهجومية، وتعتمد على اختراق الأشياء والنفاذ إلى حقيقتها. (مرّوة ، 1991م، ص 20)

إذن شكّلت السخرية أسلوباً تعبيرياً مميّزاً، وردّ فعل استنكاريّ على أحداث ومواقف وشخصيات، ونوعاً من الكتابة يعبر بها عما في القلوب من هموم ومشاكل اجتماعية وسياسية تصاغ بطريقة ساخرة تعبر عما يؤلم.

ويمكن القول إنّ الأدب العربيّ الحديث حافل بالسخرية وبدوره في إبراز الصورة الساخرة؛ لأنّ هذا الأسلوب لم يكن لتجده ظروف الأمن والاستقرار التي يستطّيعها الإنسان، فتجعله ينعم بالرضى وراحة البال ، فقد عانى المواطن العربيّ مشاكل عديدة نابعة من تكوينه المجتمع العربيّ الذي تسوده الصراعات السياسية والاجتماعية ، كما عانى ويلات الاستعمار الأجنبي من قتل ونهب وسلب ، ومحاولة طمس المعالم الحقيقية للشخصية العربية ، إضافة إلى ذلك فساد بعض الأجهزة الحاكمة في البلاد العربية وتخاذل بعض الحكام العرب في حل قضايا المواطنين وهموم ، وقد كان لهذا الوضع المتأزم وقع خاص في نفس المثقف العربيّ الذي يعيش حياته فكانت آلامه ومعاناته مادة دسمة شكّلت محتوى الأدب الساخر شعراً ونثراً ، وبرزت أسماء وأعلام وأقلام عديدة جعلت أديها منبراً ؛ لرفض الواقع العربيّ بطريقة ساخرة لها أسلوبها الخاص في معالجة قضايا الأمة ومنهم أحمد مطر والمازني . (طبشي، 2010م ، ص 7)

لذلك نجد مؤلفات الأدباء وكتبهم حافلة بالصور المضحكة والأساليب الساخرة ، وأخذت السخرية حيزاً واسعاً في أدبهم ، وتمثّل الوضع في العالم العربيّ، وعرض صور لقضاياها، وربط الأحداث بالواقع، ومحاولة الإصلاح من مختلف الجوانب، وتصوير العالم العربيّ ، فمثلاً نزار

قباني وأحمد مطر في الشعر اتخذوا السخرية في المجال السياسي ، وكذلك البياتي وصلاح عبد الصبور وأمل دنقل والبردوني ، استخدموا السخرية في مجالات متنوعة ، فأصبح الأسلوب الأكثر شيوعاً واستعمالاً تنتقد ما يجري في البلاد بصراحة دون خوف وتلجأ إلى طريقة ساخرة لاذعة غير مباشرة ؛ لتصوير ما يمر على الشعوب من مصائب ومصاعب . (مشتوب ، 2011م ، ص 20) ،
 وأداة فاعلة في التعبير عن المشاعر الإنسانية بتنوعها ، فقد صاحبت الإنسان من أقدم العصور والسخرية قديمة قدم الإنسان ؛ لأنها قد تكون ترويحاً عن النفس ، أو تسرية عن القلب أو استنكاراً لما يقع أو هزء وتندراً بالخصم . (عبد الحميد ، 2003م ، ص 24)

البردوني يشخص صورة الحاكم التي لا يستحق معها أن يكون قائداً للأمة: (البردوني،

2002م، ص 383)

كلهم متحف الغناء وكلّ يدعي أنه محيط المعاجم

فيلوكون من مريض التواريد خ حروفاً من فهرسات التراجم

كيف هناً فقادنا أغبياء ولصوص متوجون أكارم

وصغار مؤنثون وغيد غاليات الحلى رخاص المباسم

ويجدر الإشارة إلى أنّ نتاجات الأدباء تستحق الدراسة والتحليل؛ لما تمثل الإنسان في جميع حالاته، بل قد يكون أصدق في تمثيله للحالات الإنسانية من أي أدب آخر ، والغزارة في النتاج في مجال السخرية يتطلب زيادة الاهتمام بهذا النوع الأدبي الذي أصبح ظاهرة أدبية في أغلب كتابات المبدعين، منهم عبد الله البشري وطه حسين وعبد الله النديم والبردوني وغيرهم، مما يستدعي الوقوف على أسرار هذه الظاهرة وبيان الميزة التي اكتسبها المبدعون بطرقهم هذا المجال. (فرشوخ

1983م، ط1، ص 10)

فقد تأثر العديد من الأدباء في العصر الحديث بفن السخرية، ووجدوا في اللغة الساخرة أقرب لقلوب الشعب ورسم البسمة، ورفض كل ما يستحق الرفض، والأمل في تعديل ما يستوجب التعديل في ظل المجتمع الذي يعيش معاناة ومواقف مريرة في الحياة المعاصرة. (فرشوخ 1983م، ط1، ص 7)

إذن السخرية لسان المجتمع العربيّ في مواجهة الواقع وتناقضاته وحل قضايا المواطن العربيّ .

ويجدر الإشارة إلى ما يلي : إنّ الهدف من السخرية والوظائف والغايات التي تؤديها ، التخفيف من الآلام التي يعانيها الناس بتأثير الواقع ومشاكل الحياة اليومية التي يشكل تجمعها حالة سلبية لا بدّ من تفرغها بأسلوب التعويض أو التنفيس ، والنقد والإصلاح الاجتماعيّ للمؤسسات والأفراد ؛ لتصحيح الأخطاء الخارجة عن قيم المجتمع الفكرية والثقافية ، وتوحيد الرؤية بين الأفراد في المواقف الصعبة والمنعطفات الخطيرة نحو أيّ عدو خارجيّ أو داخليّ ، والإسهام في رفع الروح المعنوية والثقة بالنفس والتخلص من الخوف والقلق .

ومن أنواع السخرية السخرية الاجتماعية وهي نقد اجتماعيّ لعادات سيئة برزت في المجتمع أو لفئات اجتماعية، والسخرية السياسية وهي نقد سياسيّ يتجاوز حدود الفردية الضيقة، ليتناول المثالب ذات الآثار السلبية في المجتمع. (سليم ، 1992م، م7، ص 13)

إذن فالسخرية الاجتماعية والسياسية أخذت حيزًا في ثنايا النصوص الأدبية؛ لما فيها من تصوير للواقع، وهدفها التأثير في نفس المتلقي.

ومن أسباب اللجوء إلى السخرية إبراز عيوب المجتمع، والتنفيس عن مشكلات الأدباء في الحياة بطريقة ضاحكة سواء على المستوى الفرديّ أو الجماعيّ، والوعي بمسؤولية الأديب لإصلاح المجتمع، والقضاء على مظاهر الفساد فيه، وتنقية المجتمع من الممارسات غير المقبولة وآثارها

السلبية على المجتمع. (سليم ، 1992م ، م7 ، ص 411) ، إنّ السخرية تخلق حالة من حالات الانشراح تصحبها الابتسامة ، فأحد الأسباب الباعثة للسخرية هو الارتياح حيث يحزر الإنسان ويخلصه من فرط اللآلام والهموم ويبعد الألم عنه ، ويحاول التقليل من ضغوط الشدائد ، فالسخرية صمّام أمان تعيد التوازن النسبي للإنسان ولو إلى حين . (قزيحة ، 1989م ، ط1 ، ص 131) ، وإنّ اختيار السخرية يعود إلى شدة تأثيرها في النفس ، فالتعبير بالشكوى والاستماع إليهما يؤديان إلى الضجر والسأم غير أنّ التعبير عن الشيء بطريقة ساخرة يضمن له القبول والانتشار ويبعده عن الحياة الواقعية وينقله إلى عالم التوريات والألاعب . (محمد ، 1993م ، ط1 ، ص 295) ، ومن بواعث اللجوء إلى السخرية أنّها سلاح حاد؛ للحصول على حق مستلب وطريقة مناسبة، لتنبية الظالمين الأشرار المتعجرفين دون أن يخاطروا بأنفسهم مباشرة وأسلوب لتعويض ما يفتقد من الجمال الظاهريّ أو الفقر الماديّ أو المكانة الاجتماعية، وتبيان سيئات المجتمع في المجال السياسيّ أو الاجتماعيّ أو الاقتصاديّ، وانتقاماً لما يلقاه الأديب من الإهانات والمذلات. (أدونيس 1983م ، ط4 ، ص 40)

وإنّ أطراف عملية السخرية تعتمد على الساخر، وغايته المراد إيصالها للمتلقي، والمقام أو السياق الذي لأجله أبدع نصه الأدبيّ.

ومن الممكن القول إنّ للأدب الساخر تأثيراً ووقعاً في العقل العربيّ المعاصر، كما كان له وجود وسحر في الأدب العربيّ القديم، والبواعث للجوء إلى الأسلوب الساخر تختلف من عصر إلى عصر، وإنّ من الدوافع لهذا الفن الحياة السياسيّة والأحداث في الوطن العربيّ والوضع السائد في كثير من البلاد العربيّة.

وإنّ الثورة والحرية والعدل والمساواة والوحدة العربية وقضية فلسطين تلك المأساة والأمل في تحريرها لها حضور في الأدب، والحياة الاجتماعية الحافلة بالفقر والجوع والمعاناة والخداع والزور

ومأساة الفقير ومعاناته ونداءات الاستغاثة وجشع الأغنياء والجهل والسرقة وسلب الحقوق تدفع الكاتب للسخرية من الواقع المرير .

ولذلك ظهرت مؤلفات وكتب تضمنت الأدب الساخر حيث ألفت كتب أفردت كاملة مستقلة لهذا الفن وحده ؛ ليروّح بها عن القارئ .

ونشهد انتشار موجة الأدب الساخر انتشاراً واسعاً في مجتمعاتنا العربية المثقفة ، فلا جريدة بلا كاتب في الأدب الساخر ولا صحيفة إلا وتحظى بالأدب الساخر ، ولا موقع إعلامي نقديّ ثائر إلا وفنان كاريكاتير ساخر يرسم طبعة فيه .

وأصبحت الكتابة الساخرة في الأردن رائجة ومنتشرة، فبرز كتّاب ساخرون مبدعون في الأدب الساخر ولا سيّما المقال الساخر، ومنهم محمد طميّلة، ويوسف غيشان، وباسل طلوزي، وفؤاد أبو حجلة، وأحمد أبو خليل، وفخري فعوار، وعبد الهادي المجالي، وأحمد حسن الزعبي وغيرهم.

إذن فالكاتب أحمد حسن الزعبي -موضوع الدراسة -أحد الكتّاب الذين يتميّزون بالسخرية في كتاباتهم، فهو يترك بصمات إبداعية واضحة في مجال الأدب الساخر، ويعد الكاتب من أبرز القامات الأدبية على الساحة العربية والأردنية وله مؤلفات عدة منها: سواليف ، والممعوط، وأوجاع وطن، ونزف منفرد، ومقالات أخرى .

الفصل الرابع

الدراسة الفنيّة لمؤلفات الكاتب

أحمد حسن الزعبي

من حيث الأسلوب واللغة

الفصل الرابع

الدراسة الفنيّة لمؤلفات الكاتب

أحمد حسن الزعبي

من حيث الأسلوب واللغة

الكاتب أحمد حسن الزعبي *

إنّ الكاتب من مواليد مدينة الرمثا 1975م، وقد أنهى دراسته الثانويّة في مدرسة الرمثا، - وكان يعتبر حصة التعبير أهم حصة في المدرسة -، ثم تخرّج في جامعة جرش عام 1998م حاصلًا على درجة البكالوريوس في تخصص المحاسبة.

حياته الصحفية

بدأ كاتباً ساخراً في مجلة أحوال الإماراتية 2000م-2003م ، ثم انتقل إلى الكتابة اليومية في جريدة الرأي الأردنيّة 2004م إلى الآن تحت زاوية سواليف ، وقد كتب في جريدة الإمارات اليوم بمقال ساخر أسبوعيّ في زاوية مزاج ومرماح ، وهو كاتب أسبوعيّ في صحيفة المقر الإلكترونيّة ، وكاتب وسيناريست تلفزيونيّ ومؤسس ومالك موقع سواليف الإلكترونيّ الإخباريّ الساخر .

عضويته

والكاتب عضو رابطة الكتّاب الأردنيين منذ عام 2007م ، وعضو في نقابة الصحفيين

الأردنيين منذ عام 2011م .

** لقد قامت الباحثة بالتواصل مع الكاتب أحمد حسن الزعبي من خلال الاتصال الهاتفيّ بتاريخ

2016/1/8 ، تم الحوار معه حول أعماله الأدبيّة الساخرة وكتاباته الإبداعية ،

أعماله الأدبيّة

بدأ كتاباته بالقصص القصيرة الساخرة فأول قصة كتبها حملت عنوان (عودة أبناء الشمس)، وفاز بها في مسابقة عام 1994م نظمتها جامعة اليرموك.

ويجدر الإشارة إلى أنّ الكاتب متأثر بالأديب محمد الماغوط في كتاباته المبدعة الساخرة.

كما صدر له أربعة كتب ساخرة وهي: **سواليف** 2006م، و**الممعوط** 2008م، و**أوجاع وطن** 2010م، و**ننزف منفرد** 2012م.

جوائزه

حائز على جائزة رابطة الكتّاب الأردنيين في حقل القصة القصيرة عام 1999م وذلك عن قصته (الدرويش)، وعام 2003م عن قصته (العرض الأخير)، وجائزة الحسين للإبداع الصحفي عن أفضل مقالة صحفية لعام 2010م قدمتها نقابة الصحفيين الأردنيين، وجائزة الفسيفساء الذهبية التي قدّمها راديو مزاج عن أفضل عمود صحفيّ.

أعماله الفنيّة

ومن أعماله الفنيّة مسلسل (هيك ومش هيك) وهو مسلسل كوميديّ قد كتبه للتلفزيون الأردنيّ، و مسلسل (آخر سمعة) كتبه للمركز العربيّ للإنتاج الفنيّ، وكتب مسرحية بعنوان (الآن فهمتكم) بطولة الفنان الأردنيّ موسى حجازين وآخرين والتي تعكس وتصور الواقع المرير الذي يعيشه المواطن بسبب الأوضاع الاقتصاديّة وتبعث المسرحية على الإضحاك في نفوس المتلقين من الجمهور المشاهد والمستمع، كما توجه النقد اللاذع للمجتمع .

إضافة إلى ذلك هو مدير جائزة سواليف الأدبيّة السنويّة التي تأسست عام 2011م .

عنوانه

ahmedalzoubi@hotmail.com

www.sawalief.com

الدراسة الفنيّة لمؤلفات الكاتب أحمد حسن الزعبي

من حيث الأسلوب واللغة

تمهيد

اشتهر الكاتب أحمد حسن الزعبي بتوظيف سخريته الأدبيّة، وظهرت في كل ما خطّه قلمه من نتاجاته الأدبيّة.

الكاتب كان ولم يزل أحد الكتّاب الأردنيين الذين تميّزوا بالسخرية في كتاباتهم ، وقد برزت بصماته الواضحة في إبداعاته الفنيّة ، ويعد الكاتب من أبرز القامات الأدبية على الساحة العربية والأردنية وله مؤلفات عدة منشورة وهي : **سواليف 2006م ، والممعوط 2008م ، وأوجاع وطن 2010م، ونزف منفرد 2012م** إضافة إلى المقالات الصحفية المنشورة في الصحف .

ونشر عدة أعمال قد تخلق نوعاً من الحراك الثقافي لدى المتلقي .

والكاتب أحمد حسن الزعبي ينظر إلى الأدب الساخر حسب رأيه "أنّه أعرق أسلحة البشر وألطفها، فهي سلاح الفقير على الغني والضعيف على القوي وسلاح المظلوم على الظالم".
والأدب الساخر عند الزعبي " هو الأقرب للناس؛ لأنه ينقل المشهد من قاع المدينة ومن المعاناة الفرديّة للأشخاص، كما يقوم بالنقاط الأحداث البسيطة للمشاهد التي هي غير واضحة المعالم؛ لينقلها بمهارة ودقّة ولغة خاصة وأسلوب متفرد".

حيث يقول الزعبي: " إنّ الكاتب يعد همزة وصل بين القارئ والجريدة وأحياناً بين القارئ وصاحب القرار، فهو ينقل الصورة بصورة حقيقيّة بدون أي تعقيدات أو تلقين أو مباشرة بالحديث ، "وإنّ النصّ الساخر هو الخلطة السحريّة بين اللغة المفردة والحكاية الشعبيّة واصطياد الخبر والمشهد والحدوتة وتوظيفها في النصّ الساخر".

وإنّ إبداعات الكاتب تكشف عن رؤية فلسفية واقعية عبر نسيج السخرية والنقد اللاذع، وتترك للمتلقي الولوج إلى عالم النص بالتحليل والبناء معاً، وتبدو في مقالاته أدواته الخاصة التي تسلك طريقاً للتعبير عن الجوانب الانتقادية والسوءات المجتمعية بذكاء وقّاد، وتعكس ما يدور في المجتمع من قهر وظلم وألم وشقاء؛ كي تكون لغته لغة ناطقة باسم الفئة الصامتة، وبما لا يتنافى مع ما يسود المجتمع من المفاهيم الاجتماعية والثقافية والسياسية.

وقد وجدت الباحثة أنّ الكاتب أحمد حسن الزعبي أحد أهم وأبرز الأدباء الكُتاب الذين اشتهروا بأعمالهم وإبداعاتهم الساخرة، وبدأت النزعة الساخرة غالبية في مختلف مجموعاته المقالية المؤلفة وكان ذلك دافعاً لاختيارها هذه الدراسة، وقد حصرتها في أربعة مؤلفات للكاتب تتضمن عدداً من المقالات الصحفية مجموعة في مؤلف واحد: وهي **سوايف 2006م** بلغ عدد المقالات فيه خمسين مقالة، و**الممعوط 2008م** بلغ عددها ثلاثاً وسبعين مقالة، و**أوجاع وطن 2012م** بلغ عددها ستاً وستين مقالة وقد صدر كتابه في طبعته الثانية بإهدائه الثالث إلى الساخرين الخالدين محمد طميعة ومحمد الماغوط، و**نزف منفرد 2012م** بلغ عدد المقالات فيه مائة وثلاث مقالات، ويجدر الإشارة إلى أنّ هذا الكتاب - نزف منفرد - مصنّف في أبواب وهي: (**نزف الحنين**، و**نزف الحصاد**، و**نزف الغيم**، و**نزف 21 آذار**، و**نزف الوطن**، و**نزف المدن**، و**نزف المنسيين** و**نزف فيروز**، و**نزف الشهور**، و**نزف الغربية**)، التي تمس جلّ القضايا التي عالجه الأديب .

الأسلوب

يقصد بمفهوم الأسلوب هو الطريقة التي يستعملها الكاتب في التعبير عن موقفه، والإبانة عن شخصيته الأدبية المتميزة عن سواها، إذ يختار المفردات ويصوغ العبارات ويأتي بالمجاز والإيقاع؛ وذلك قصد التعبير بهذه الطريقة عن قناعاته ووجدانياته والقصد من إيراد الكلام في نسق معين، هو التأثير في المتلقي الذي سيشارك المرسل أفكاره بعد اقتناعه بالفكرة والأسلوب. (الشايب، 1998م، ط1، ص40)

والأسلوب هو الطريقة في الكتابة، واستخدام الكاتب لأدوات تعبيرية من أجل غايات أدبية، فالأسلوب يتجاوز دائرة الإبلاغ إلى دائرة التأثير والانفعال. (بيارجيرو، د.ت، ص34)

وكذلك الأسلوب مجموعة خصائص وسمات تضاف إلى لغة التواصل العادية، وتحمل بصمة النشء الجديد الذي يطبعها بتجربته الخاصة؛ لتصبح ملكاً فردياً له، وهذه الإضافة قد تكون زخرفاً وتحسيناً وتجميلاً لعبارات محايدة بريئة من أي أسلحة ممكنة. (ربابعة، 2003م، ط1، ص22)

والأسلوب ليس إلا وسيلة من وسائل نقل المعاني وجودتها، وقد ترقى بالمعاني فتخرجها في كل شكل يدعو إلى الإعجاب. (أمين، 1967م، ط1، ج1، ص74)، وهو ليس المعنى وحده ولا اللفظ وحده، إنما هو مركب من عناصر مختلفة يستمدّها الفنان من ذوقه، ومعنى هذا أنّ عناصر الأسلوب لا تتجزأ. (طبانة، 1962م، ص247)، فيصير الأسلوب صفة من صفات الإنسان الشخصية. (أمين، 1967م، ط4، ج1، ص130)

فالأسلوب نظام لغة لما يقدمه المبدع من إمكانات هائلة، فالمبدع حرفي في اختيار ما يريد ما دام يختار ما يخدم رؤيته وتصوره وموقفه، وتكمن مهمته في حسن اختيار الألفاظ اللغوية المناسبة للدلالات التي يريد إيصالها، أو لنقل الدلالات الكامنة في ذهنه. و يهدف الأديب من

أسلوبه إثارة شكل خاص من الفهم عند المتلقي يختلف عن الفهم التحليلي الواضح الذي تثيره الرسالة الاعتيادية.

والجدير بالذكر إنَّ الأديب الكاتب الزعبي يركز على فن المقالة التي تعد " قطعة نثرية محددة في الطول والموضوع، تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من التكلّف والرهق وشرطها الأول أن تكون تعبيراً عن شخصية الكاتب ". (نجم ، 1957م، ص95)، وهي قطعة من النثر الفني يتحدث فيها الكاتب بنفسه، ويحكي تجربة مارسها أو حادثاً وقع له أو خاطراً خطر له في موضوع من المواضيع وتعكس وجهة نظر صاحبها. (عتيق ، 1973م، ص229)، وهي قالب فني للكتابة النثرية تتناول موضوعاً أكثر تحديداً وتعرضه بصورة أشدّ تركيزاً، وهذا الموضوع يتصل بقضية حيّة ويتجه في الحديث إلى الجماعة. (هيكل ، 1994م، ط6، ص70)

فالمقالة هي النص المكتوب بقالبٍ فنيّ يوضح رأياً خاصاً أو مسألة ما.

ويحترف الكاتب الزعبي مهنة الصحافة التي تعبّ عن تطلعات الجماهير، وتعكس آمالهم وآلامهم، وتتكلم باسمهم وترفع صوتها عالياً، للدفاع عن مصالحهم أو لمواجهة ما يعترض سبيلهم أو يتعدى على مبادئهم أو معتقداتهم، فالمقالة الصحفية يبنها صاحبها على فكرة مستمدة من الأجواء المحيطة به، قد تكون خبراً يصل إليه من مصادر الأخبار، أو تعليقاً على موضوع سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي أو تعليقا في موضوع خفيف ... أو خاطرة. (نجم ، 1957م، ص96)

ومثال ذلك مقالة للزعبي بعنوان "الانتخابات الرئاسية" يقول فيها: " الاقتراع يحتاج إلى

إقناع، وأكثر ما يقنع هو الكنافة " (سواليف ، ص 33) ، ومقالة بعنوان "يوم السقوط " يقول :

أيها العربي لا تمت كما مات أحمد العربي " (نرف منفرد ، ص 117) ، ومقالة أخرى بعنوان "

أسبوع اليتيم العربي " يشير الزعبي إلى سقوط بغداد 4/9 من كل عام وكيف يعد كرنفالا للاحتفال

بيوم اليتيم العربي ، فيقول في الختام " كيف تنسى بلدك؟! " (الممعوط، ص 27) وغيرها.

ولجأ الزعبيّ في كتاباته إلى فن المقالة الصحفية واعتماد الأسلوب الصحفي هو أكثر الأساليب الكتابيّة تعبيراً أو أقربها إلى عقول الناس ، كما إنّه أقصرها وأوضحها كلمات ، ويمكن أن نضيف إلى ذلك دلالاته المتعددة ، ومميزاته السهولة والعذوبة والجمل القصيرة والألفاظ المعبّرة والأكثر استعمالاً في العربية واستخدام الألفاظ المستحدثة ، وتحويل الأحداث والخبرات والقضايا الإنسانيّة ومظاهر الكون والحياة إلى مادة صحفّية مطبوعة ومفهومة سواء عند صاحب الثقافة العالية أو صاحب الثقافة المتوسطة أو عند المواطن العادي الذي يقرأ ليفهم ويعرف، ولغة الصحافة لغة سهلة مفهومة ومزاج بين لغة التخاطب بين الجماهير ولغة العلماء والمتقّين .

ويعد الكاتب صحفياً يتقرّغ لقلمه وعمله الفكريّ، والطريق الذي ييسر لموهبته أن تثمر، ولفكره أن يتحرّر، ولإبداعه أن ينطلق .

وله مقالات نثرية تنشر في الصحف وإبداعات في الصحف، وامتاز بالمقالات الساخرة التي يعالج فيها قضايا متعددة وتوجيه أنظار المتابع له، وينشر ثمار فكره الإبداعيّ ونظراته وتأمّلاته مع الميل إلى نزعة السخرية.

وجاءت مقالات الكاتب فناً خالصاً ونسيجاً مميّزاً وصياغة فنيّة ، فهو يجعل من فن المقال عالماً ساخراً يرتاده الكثيرون في مختلف الصحف والمجلات ، وإذا به يحتل مكانة بين المبدعين في مجاله فضلاً عن عرفنا من كتّاب وأدباء متميزين .

وإنّ القيمة الحقيقيّة للمقالة عند الزعبي تعتمد على ما يستهوي القارئ بما فيها من خفة وسحر وجاذبية وتألّق وذوق مصقول بالأفكار العميقة والآراء المنيرة ، وما فيها من براعة في التصوير .

ولا شك أنّ الكاتب يقدّم صورة واضحة عن المشكلات التي تجابه المجتمع فهو قريب من أبناء مجتمعه ولصيق بهم ويفكر كأحدهم ويحس بإحساسهم ويشعر بمشاعرهم، ويفرح لفرحهم ويتألم لآلامهم ويتزجج ذلك كلّه إلى مادّة كتابيّة تتعكس عليها صور اهتماماتهم

وإنّ أسلوب السخرية لدى الكاتب الزعبي نابع من الحس المرافق للصدق والشاعرية في رؤية الأمور الحيائيّة العامة ، وينظر إلى الحالات في المجتمع بعين الحقيقة الثاقبة المتفحصة ، ومثال ذلك مقالة بعنوان " الأردني في عطلته " يشير إلى إبريق الشاي الذي يتم تناوله بين أفراد الأسرة والتفافهم حوله ، فيقول الزعبي : " اظرمولنا إبريق الشاي " (الممعوط ، ص 87) ، ومقالة بعنوان " مصارعة حرّة " يشير إلى غياب النزعة القتاليّة بعد توقف عرض برنامج المصارعة الحرة في منتصف الثمانينات ، فيقول : " لذا أطلب من التلفزيون الأردني أن يبتّ لنا أسبوعياً حلقتين على الأقل من المصارعة الحرة ؛ لنستعيد قوّتنا ، قوة الجيل " . (سواليف ص 97) .

فالسخرية عنده تنبع من أرض الواقع من الحياة الروتينيّة التي يعيشها الناس ، وهو ينتقي أصدق المشاهد وأشدها حرارة ؛ ليصورها على شكل قطعة أدبيّة ، وليبعث رسالته للجميع محاولاً إضحاك الناس للترفيه عن أنفسهم ، وفي نفس الوقت يريد أن يزيد من الحزن والأسى في تلك الحالات السلبية الموجودة في المجتمع ، ومثال ذلك مقالة " الخربوش " يصف الخربوش والنور واشتعال الحطب فيقول الزعبي : " ماذا نريد من الحياة سوى خربوش وإبريق وضوء وسراج خافت " (سواليف ، ص 23) ، ومقالة بعنوان " مفتح على السببية " يشير فيها إلى فراط الزيتون . (أوجاع وطن ، ط2 ، ص 47) .

وتبرز لديه السخرية الاجتماعيّة اللاذعة ويدعو المواطنين إلى التفتّح والوعي والإدراك لقضايا المجتمع ، ومثال ذلك مقالة بعنوان " عشيرة جديدة " يبدو الزعبي فيها نقداً سياسياً للوزراء أن يتم تسميتهم ب (الوزايرة) أو (الوزارات) أو (بني وزير) حيث يتم العين عشر سنوات في

تخليف الوزراء ليصبح لدينا عشيرة جديدة عريقة من المعالي (أوجاع وطن ، ط2 ، ص 29) ،
ومقالة بعنوان " حمالة الحطب " يشير سماعه خبر وفاة عائلة لاختناقهم بصوبة الحطب التي هي
ملاذ الفقير من الشكوى ونوافذهم مشمعات بلاستيك وأبوابهم من قماش . (نرف منفرد ، ص
187).

وفي السخرية يستعير مفردات شائعة في المجتمع بشكل واسع، وفي كتاباته نكهة جميلة
تشدّ المتلقي إلى متابعة أعماله دائماً، ومثال ذلك مقالة بعنوان " ومن قال عاش " يشير إلى الحوار
بين الناس في التعليق والمضافة يمضون النهار والحيث سجال بين كلمة (تعيش) والرد بالقول (من
قال عاش). (المعوط، ص163)

ويستمد سخريته من الواقع، ويتخذ منه وسيلة للتعبير؛ لذلك فسخريته مرتبطة بالبيئة عن
طريق الاهتمام بقضايا الجماهير، وهي تتسم بالوضوح، ومثال ذلك مقالة بعنوان " زقزقة وموت "
حيث يقول الزعبي: " من ينرف . كيف يغرد؟! " (نرف منفرد ، ص 147)

والسخرية عنده تأتي على شكل رسالة تحمل على عاتق الكاتب في حسن استخدامها في
النتائج الأدبية ، ولا تأتي لاستثارة الابتسام والضحك لدى المتلقي فحسب ، بل هي تقنية لإيقاظ
عقول القراء وتحريك المشاعر لديهم ، ومثال ذلك "مقالة بعنوان " النفس الطرية " حيث قسّم
الزعبي النفس السياسية إلى ثمانية أنواع: " النفس الجاعصة المنتخبة التي لا تستثنى ، والنفس
المستوزرة التي تحصل على نفقة وزارية ، والنفس العاطلة التي تكثر الحديث عن النفس
(الفسفة) ، والنفس المأسفة التي تتدخل في القرار لغاية ما ، والنفس اللهاطة التي تبتلع
الأخضر واليابس ، والنفس المعاطة التي تقوم بالتنظير، والنفس الشايفة اي الفهمانة ، والنفس
الطرية التي يتم إغراؤها " . (أوجاع وطن ، ط2 ، ص 75) .

وربما تكون السخرية هي الوسيلة الأجدى التي يمكن أن تشفي غليل ملايين القراء العرب الذي غصت حناجرهم من واقع عربي صار فيه الناس من صعوبة البكاء يضحكون، ومثال ذلك مقالة بعنوان "أسافين" يقول فيها الزعبي: "هناك دول تمارس "ضرب الأسافين" ضدّ دول أخرى، بل يعتبر من أهم صادراتها وثرواتها الوطنية "تصنيع الأسافين الإعلامية" ... والذي يتهمني بالفلذكة أو الخرف، فليمر وليسمع وليلمس وخزتها في ظهره صباح مساء ... إنها الأسفنة الشقيقة والصديقة يا جماعة ... ، ما أجمل الحياة، لو أني خلقت منزوع القفا!" (الممعوط، ص 47).

ويحسن الكاتب اختيار العناوين بدقة متناهية وتدل على براعة التعبير، ومن هذه العناوين - عناوين مؤلفاته - كتاب **سواليف** حيث تأتي السواليف ترفيها عن النفس ليس إلا، فكل ما يقال لا فائدة منه، ولا أحد يكثر لتلك السواليف، وكل ما في الأمر أنّ المرء يشفي غليله من جرّاء التكلّم بهذه السواليف؛ ليخرجها من عمق قلبه، ويتخلص من صداها في أعماقه، ويبعث مكنونها في نفس غيره لعله يدركها ويستشعر بها.

وكتاب الممعوط الذي سلبت إرادته ووقف عاجزاً خائر القوى أمام ما يعتريه وما يجابهه من معيقات، ولا يملك أدنى سلاح للمواجهة والتصدي، فقد انتهكت عدته وسلبت مقاومته، فغدا ممعوطاً مسلوباً عاجزاً ضعيفاً لا حول له ولا قوة.

وكتاب أوجاع وطن إشارة إلى المواطن الذي تراكمت عليه المصائب، فغدا متوجعاً متألماً، حتى عشش في أحشائه ذلك الوجع مصاحباً له في كل مراحل حياته، يعاني الشقاء والألم ولا يهدأ ولا يخفف عنه وجعه ولا يجد نصيراً له، فالهم مشترك والوجع موحد، فالكل متشابهون إلا من رحم ربي.

وكتاب **نزف منفرد** فيه من العزلة والاعتراب والإحباط واليأس ، فالنفس مثقلة بهمومها ، والقلب ينزف وجعا لا يدركه أحد ، يعزف بآلامه لحن الرحيل وفقدان الأمل .

كما يتم اختيار العناوين حسب الأخبار والأحداث اليومية ؛ لقرىها من روح السخرية واستخدام التعجب بلهجة ساخرة وأسلوب التساؤلات ، ومثال ذلك مقالة بعنوان " حدوثة الديسي " يشير الزعبي إلى جرّ مياه الديسي إلى عمان (سواليف ، ص 73) ، ومقالة بعنوان " يزاحموننا حتى في آلامنا " يشير إلى السياسات الفاشلة (أوجاع وطن ، ط 2 ، ص 81) ، ومقالة بعنوان " سوريا يا حبيبي " خبر إحراق المدارس في سوريا يقول الزعبي : " ياه .. ما أصعب الموت عندما يزحف برائحته إلى عطر الذاكرة " (نزف منفرد ، ص 141).

ويعتمد في سخريته النقد الموجّه للأفراد والجماعات يحارب علّهم ، ويجابه تقصيرهم ، ويقوم عيوبهم ، ويهدف إلى إقناع المتلقي ، فغرضها التهذيب والتقويم والإصلاح ، ومثال ذلك مقالة بعنوان " أعد لي صوتي " حيث يقول الزعبي : " للأمانة ، جنيت شيئاً واحداً ، فقد استخدمت يافطائك وشعاراتك المعلقة على شرفة بيتي " كوجوه وسائد " تعال وخذ وسائدك إلى المجلس ، وأعد لي صوتي .. لنخرج متعادلين على الأقل في الوقت بدل الضائع " (أوجاع وطن ، ط 2 ، ص 177) .

ويتخذ من السخرية الحجّة اللادعة والمنطق المتناسك والنظرة الثاقبة والرؤية الشاملة والثقافة العميقة وتقدم النصح؛ لبناء الشخصية الإيجابية، ومثال ذلك مقالة الزعبي بعنوان " لماذا نسخر أبداً مش قلة هيبة " حيث يشير إلى الفساد والنفاق والوساطة والجهوية وفرض الضرائب وفاتورة

الكهرباء. (أوجاع وطن، ط2، ص11)، ومقالة بعنوان " قمة العوج " يقول الزعبي: " لا أدري لماذا لا يخطر في بالي ذلك النوع من النكات تحديداً بعد اختتام أي قمة عربية، مصغرة كانت أو مكبرة. ربما لأنها تختزل جميع القمم السابقة !! فالقمة العربية أينما عقدت، تحتوي على (قمة الألم) ونحن نتزلج على شفرة الفرقة ، ونسقط في بركة الاستعمار، كما تحتوي على (قمة الإزعاج) عندما يتصارع حزيان وطنيان على أرض لم يملكها بعد ، وتحتوي أيضاً على (قمة الهدوء) عندما يخلو البيان الختامي من أي حلول أو تهديد ، يليه (قمة الهبل) وهو الاتفاق على لقاء قمة آخر، يتبعه (قمة التناحة) وهو التركيز على نقطة فارغة في شريط البيان الختامي الفارغ أصلاً .. نسيت أن أذكر أن جميع القمم الأممية والإقليمية والعربية التي عقدت منذ ستين عاماً تضمنت قمة العوج أيضاً .." (الممعوط ، ص 129)

وهدف الأدب الساخر قد يكون هدفاً جمالياً تصحيحياً ينأى عن التصريح وبيّن عنصر التشويق ، ومثال ذلك مقالة بعنوان " مطحنة شرايط " حيث يقول الزعبي : " أحياناً أشعر أنّ بعض المحللين (مطحنة شرايط) ... يجترون ما يقال ، يطحنون الألوان السياسيّة والأفكار الرائجة والتوجهات السائدة مع (قمصان) النفاق والمزاودة .. (ليحشوا) وسادة الكلام بمادة لا لون لها " . (أوجاع وطن ، ط2 ، ص 109)

والأدب الساخر يعالج قضية اجتماعية ما ، وواقعاً أليماً وطموحاً منشوداً ، فالكاتب له قضية مهموم بها ورسالة يريد لها أن تصل ، ومثال ذلك مقالة بعنوان " دم ودمع ومازوت " يقول الزعبي: " دماء الشعوب وأكفان الشهداء هي (يود) الأوطان المجروحة و (شاشها) يا رب في زمن القائد (المستأسد) حتى الدمى تستشهد ! " (نرف منفرد ، ص 151) ، ومقالة بعنوان " بُراق الحرّية " يقول : " اليوم هو يوم الأسير الفلسطيني ، وقبل أيام كان يوم الطفل

الفلسطيني ، سبقهما يوم الأرض .. أعياد كثيرة وفرح قليل. في فلسطين كلّها لا أحد يستطيع أن ينفخ على الشمعة في عيده. فغزة تحتاج إليها لتبدّد ليلها المظلم. " (نرف منفرد ، ص 171)

ويتضح في أعمال الكاتب الزعبيّ بعض أنواع السخرية كالسخرية الانتقاديّة والسخرية العقليّة والسخرية الفكاهيّة ، فالسخرية الانتقاديّة تهدف إلى السخر من الظواهر في الحياة ونقدها من خلال أفراد بعينهم أو جماعة بعينها أو تقليد سواءً أكانت ظاهرة اجتماعيّة أم سياسيّة أم أدبيّة أم سلوكيّة ، فيعمد الأديب إلى موضوع النقد من وجهة نظره بأسلوب أدبيّ ، ومثال ذلك مقالة بعنوان " ثقافة العرط " يشير الزعبي إلى المناسبات والطّخ والألعاب الناريّة في الأعراس والتخرج والنجاح وإنفاق آلاف الدنانير عليها (سوايف ، ص 79) ، ومقالة بعنوان " أجراس الطفولة " يقول : " في هذا الزمن الديجيتال لدينا أطفال وليس لدينا طفولة " (نرف منفرد ، ص 33) .

أمّا السخرية العقليّة فهي تعني السخرية من بيئة فكريّة ما ومعتقدات تنافي المجتمع وتوجيه أفرادها إلى عيوبهم حتى يصلحوها، ومثال ذلك مقالة بعنوان " ستار أكاديمي " ينتقد الزعبي السلوكيات والممارسات للمشاركين في البرنامج (سوايف ص 57) .

بينما السخرية الفكاهيّة تهدف إلى الإضحاك والفكاهة ؛ ترويحاً للنفس المتعبة ، وتنقيساً للآلام لتدفق الفرح وإزالة ما يعلق بالقلب من هم وحزن ، ومثال ذلك مقالة بعنوان " مكالمة دولية مع ميّت " يشير إلى الأحوال السيئة من خلال اتصال أب ميت مع ابنه ذاكراً له (العيش في دفا وعفا وراحة بال وكل شئ ببلاش) أفضل من حال الأحياء (الممعوط ، ص 159) .

إنّ الأديب الزعبيّ يريد الإصلاح من خلال النقد الساخر لواقع الأمة والناس .

وإنّ القادرين على السخرية قلّة بالنسبة لمجتمعاتهم ، وتظهر مقومات الشخصية الساخرة في عدّة جوانب منها جانب عقليّ إذ يتمتع الساخر بالجرأة والذكاء وقوة الخيال والمنطق ، والقدرة على الارتجال من غير فكرة سابقة أو أهبة باقتدار وسرعة ، أو أنّه يمتلك القول على البديهة التي هي

أقل مرتبة من الارتجال ؛ لأنه يفكر قليلاً قبل القول ، ويتصف بالبراعة في الرد ، وحسن التخلص في المواقف المختلفة ، والفتنة لخفايا الأقوال والأفعال ، - فيما يمكن تسميته لمآحية عالية - حتى إنه يتوقف عند دقائق الأمور التي لا ينتبه لها الكثيرون .

أما بالنسبة للجانب النفسي فإنّ الكاتب يتمتع بالهدوء التام وخفة الروح ، ويمتلك أيضاً شعوراً مسيطراً واضحاً بالتفوق والانتصار وبالعزة والاستعلاء .

أما بالنسبة للجانب الأدبيّ فإنّ التركيز يكون على حسن التصوير لدى الأديب الساخر وخفة الإشارة ولطف العبارة ورشاقة التعبير، وما يحتاجه من ذوق رفيع مرهف وقدرة على الصياغة الأدبية ومثال ذلك مقالة الزعبي بعنوان " حارس القمح " يشير إلى موسم الحصاد والغلال (نصف منفرد، ص 51)، ومقالة بعنوان " رجعت الشتوية " يصف فيها أجواء الشتاء عند الناس البسطاء والشوارع وسقوط الأمطار وصوت المزارب وصوت المطر على النوافذ . (سواليف ، ص 65)

أما الجانب الاجتماعيّ فإنّه يتمثل بأنّ السخرية تتطلب الخبرة بالمجتمع والدراية بأحواله والمعرفة بحاجاته الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتمييز واقعه من خلال المعاشة لطبقاته المختلفة (ابن ظافر (ت 613هـ) ، 1970م ، ص 67)

كما أنّ السخرية أسلوب فني يهدف لإزالة الضيق والهم من قلوب الناس، ورد خطر قادم على المجتمع أو خطر متوقع عليه، ومثال ذلك مقالة بعنوان " عقوق وطني " حيث يقول الزعبي: " لست أدري، كيف تطعمهم قلوبهم ويعقونك؟! وهل من مثلك يا وطني يُعق؟! " (أوجاع وطن، ط2، ص 87) .

والكاتب ناقد حقيقيّ لديه حساسية لنقائص المجتمع ؛ فهو يسخر بهدف الإصلاح ؛ لتكون العملية في قمة العمل الإيجابي للبناء ، أو محاولة لطيفة مهذبة الغرض منها ؛ تطهير المجتمع من الظواهر السلبية التي تجانب التطور وتناهض الحركة نحو المستقبل ، والتخلص من العوامل

التي تهدد الحياة بالتوقف أو البطء كالجهل والبخل والدعاوي الكاذبة ، وتهاجم ما يحتوي منها إعراضاً عن الحياة أو عجزاً عن التعامل معها كالغفلة والبلادة والخمول ، وذلك إنَّ حرص المجتمع على كيانه يثير فيه روح المقاومة والدفاع عن النفس ؛ ليرد المهاجمين المنتقصين للأمة كلّها من أعدائها أو الخارجين على قواعدها ونظامها من أبنائها ، لإعادتهم إلى الطريق الصحيح والتخلّي عن عاداتهم المرفوضة في مجتمعهم . (حفني 1987م ، ص 8)

والكاتب الزعبيّ بأسلوبه الساخر ينتقد الأوضاع بصورة يفهمها الجميع، فهو يستنهض الهمم بأسلوب رمزيّ يعده عن المساءلة، ولا شكَّ أنّ الظروف الاجتماعيّة أدت إلى إبراز الأسلوب الساخر في أدب الكاتب، ومثال ذلك مقالة بعنوان " صلة لحم " يشير إلى ارتفاع سعر اللحم البلدي وعدم القدرة على شرائه فيكتفون بزيارة الملحمة والنظر إلى الخروف المعلق فيقول: " في مجال يعبط الولد الخروف شوي من باب صلة اللحم " (المعوط، ص137)، ومقالة بعنوان " تصبحون على رغيف " يقول الزعبي: "الرغيف شمس الجائع ووطنه .. وقلبه الذي لا يحيا من دونه والشهداء الذين قضوا، قضوا من أجل وطنهم الصغير " الرغيف " الذي يحدّهم من الجهات " الأوجع " .. يدي على قلبي، يدي على " رغيفي " . مصر الآن، ولا أعرف من سيكون غداً تصبحون على رغيف " (أوجاع وطن ، ط2 ، ص 37)

والسخرية لديه حيلة أدبيّة وموقف ورؤية وفكر وتوجه فكري وسياسي، أنتج من خلالها سلسلة من المؤلفات تتضمن عدداً من المقالات، وجعل السخرية فيها هدفاً قابلاً للقراءة، فيحمل القاريء على متابعة نصوصه وأعماله.

والأدب الساخر هو مادة جادّة وأسلوب لتسويق فكرة ما وإدخالها في دماغ المتلقي كي يدافع عنها، وكأنّ الكاتب الساخر رقيب على كل من يتسلم السلطة ويحدّره من الانحراف، ويسخر منه إذا انحرف، ويقاقل من أجل أن تنهض قوى الشارع بثورة ضدّ الانحراف، والكتابة الساخرة مادة

جماهيرية وكما كثر عدد القراء والمعلقين كلما تأثر الناس بما يكتبه الكاتب الساخر، ومثال ذلك مقالة بعنوان " اللحلة المستدامة " يقول الزعبي: " ختاماً ، أعتقد أنه آن الأوان .. أن نرسم خطأً موازياً لمفهوم التنمية المستدامة وليكن اسمه اللحلة المستدامة ...لنتمكّن من الصمود أمام رغباتنا والتماشي مع ظروف اللحلة الدولية " (الممعوط ، ص 123)

إذن الكاتب الساخر هو من يفهم الحياة الشعبوية، ومصطلحات الناس ، وقضاياهم ، وهمومهم ويعايشها ويعاني منها ، ويسخر منها ، ليسمو فوقها ويحاول الانخراط في حياة الناس ونضالاتهم لا يقودهم ولا يتبعهم بل يكون واحداً منهم أنيطت به مهمة الكتابة الساخرة .

والملاحظ على كتابات الكاتب أحمد حسن الزعبي واللجوء إلى السخرية من بعض المظاهر السياسية في العالم العربي، وتصوير مشكلات الناس وهمومهم وتطلعاتهم داخل المجتمع والشارع والمقهى ، ورصد أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، واستمداد الموضوعات من واقع الشعب داخل المجتمع ، والاتفات للوضع السياسي للبلاد العربية ، وتخلّف المجتمعات وخمول الشعب والاستكانة والاستسلام ، والتحدّث عن بؤر الخداع والفساد في المجتمع ، ومثال ذلك مقالة بعنوان " منتهى الطموح " يشير إلى الأخبار والأحداث الموجهة ، فيقول الزعبي : " منتهى الطموح أن أنام ، أنام لا خبر عاجل ولا انشقاق جديد ولا موت مدبر يشعل الضوء الأحمر على مخدتي " (سواليف ، ص 121) ، ومقالة بعنوان " الظلّ " يشير فيها إلى التبعية ، فيقول : " دخل دخلوا ، جلس جلسوا ، التفت التفتوا ابتسم ابتسموا ، ... شجب شجبوا ، أكد أكدوا ، وعد وعدوا ، قام قاموا ، ... ، وفي آخر النهار فركوا أياديهم نادمين أمام الزعيم : نسألك وأنت في جبروتك وقوتك .. ألا يفسد الاختلاف للود قضية !! " (أوجاع وطن ، ط2 ، ص 53) ، ومقالة بعنوان " رأس مايل " يشير إلى الأوضاع السائدة في الوطن العربي وقضية فلسطين والقمة العربية .(الممعوط ، ص 55).

وفي مقالاته صوت الإنسان، تحدث عن مصائب الشعب بلغة واضحة؛ لتؤدي الغاية من الكتابة لتصل للجمهور والقراء ، ومثال ذلك مقالة بعنوان " امنحني إجازة لأحبك " يقول الزعبي: " وطني ما زلت أفتش عنك فيك ... أخشى على تجايد الوقت في مآقيك ... وطني امنحني إجازة قصيرة من أوجاعي ؛ لأحبك " (نرف منفرد ، ص 87).

ويعتمد نثرية الأسلوب؛ لأن اللغة الطبيعيّة للناس على شاكلة النثر والقصة وبساطة الكلمات، واستعمال بعض الكلمات العاميّة، وبيتعد عن استعمال الكلمات الصعبة والغامضة، ومفرداته تمتاز بالسهولة والوضوح، ومثال ذلك مقالة بعنوان " من وحي الحلة " يورد فيها مشاهد يومية ويصف حال الناس عند مغادرة الدوام الرسمي (الممعوط ، ص 187)

ويستمد موضوعاته من الواقع السياسي والاجتماعي والمعيشي والانتفات إلى مشكلات الشعب، ومثال ذلك مقالة بعنوان " ربيع أحمر " يقول الزعبي: " مطهر الشعوب يطوب على ماتوره بين الدول تباعاً، فهذه سنة الحرية، ومن أراد أن " يختن " حرّيته " و " يتطهر ، عليه أن يؤمن أنّ الربيع أحمر " (نرف منفرد ، ص 17).

والتكرار لبعض الألفاظ وتضمين قصص التراث العربيّة القديمة، والإشارات إليها من العبارات التي أصبحت مألوفة ووصف أوضاع الحاضر والاهتمام بالرمز واستدعاء شخصيات تاريخية أمله في المستقبل ومثال ذلك: ذكر بعض الشخصيات في متن مقالاته منها المتنبّي والحجاج وشارك هولمز وتولستوي ومحمود درويش وزكريا تامر وغوّار وغيرهم .

وهو صاحب رؤية مستقبلية واضحة تؤمن بانتصار الإرادة الشعبيّة التي تتمكن من إعادة بناء المجتمع الجديد.

وتبدو صور السخرية عديدة قد تأتي في الجملة أو في الوصف العابر أو في الصورة أو في المضمون الساخر ، وتتجلى النزعة الساخرة أوضح ما تتجلى في عناوين مؤلفاته فيما يصدرها من

إهداءات أو مقدمات فمثلا يقول الزعبي في الإهداء : " إلى جميع الممعوطين في الأرض " .
 (الممعوط، ص 3) ومثال ذلك يقول في الإهداء الثاني : " إلى كل الموجوعين بأوطانهم " .
 (أوجاع وطن، ص 7)

والتعليق الساخر عنده فيه إضاءة لجوانب نفسية ولمنظومة القيم المجتمعية ، ومقارنة بين الواقع النفسي والواقع الاجتماعي ، والقدرة على الإيحاء بكل الدلالات ، والبراعة في التركيز ، والاقتصاد اللغوي ، ورسم المشهد بكلمات قليلة ، ودعوة المتلقي لمشاركته في منابع السخرية والتناقض بين عادات المجتمع وسلوك أفرادها ، ومثال ذلك أقواله الآتية : (وجوه السياسيين مثل الطاقة : لا تستفني ولا تستحدث ولكن تتحول من شكل لآخر) ، (المبدأ الوحيد الذي يتبعه معظم السياسيين في بلدنا هو " تغيير المبدأ ") ، (لم نعد نسمع عن خطط الحكومة في مواجهة الفقر ، مما يفتح أمامنا أحد الاحتمالين : إما أن يكونوا قد قضوا على الفقر ، وإما أن يكونوا قد قضوا على الفقراء) ، (نفسي بمزيل قد بنك الإسكان " امعط " فيه كل الزائدين عن الحاجة في المواقع الحساسة) ، (العملاء مثل المقابر ، يحيون عندما تموت الأوطان) ، (لو كان المثل " إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب " صحيحاً لاغتنى العرب ..) ، (دائما الفقراء وقود الموت وحطبه .. لأن لا دخان لهم ولا رماد) ، (الضمير يصبح أحيانا مثل ذبابة لحوحة إما أن تقتلها وتستريح ، وإما من إحاحها تصيح) ، (السياسي مثل بائع الفحم : استحالة أن لا تتلوث يده بمال الشعب) ، (المواطن مثل الرغيف الكل يحلف عليه ، والكل يأكل به) ، (الرؤوس الكبيرة في البلد صراعها من أجل نقطة : إما " نفوذ " أو " نقود ") ، (الذين يرددون دائما " في الحقيقة " هم غالبا أبعد الناس عن الحقيقة) ، (اطمأنوا الوطن في أيدي أمينة : من الوزير الأب إلى الوزير الابن إلى الوزير الحفيد) ، (الوطنية ببلدنا مثل اللحاف :

الكل يشد به ، ليتغذى فيه ..) ، (المسؤول الفاسد مثل البعوض يمص دمك مئة مرة ولا تستطيع أن تمصه ولو مرة) ، (جديد الأدوية العربية : كبسولات للكرامة .. تأخذ قبل التفاوض بنصف ساعة) . (أوجاع وطن : ص 14 ، 22 ، 28 ، 34 ، 44 ، 54 ، 64 ، 74 ، 86 ، 96 ، 106 ، 112 ، 118 ، 124 ، 163) .

والبناء اللغوي لديه يخاطب وجدانياً وعاطفياً المتلقي صاحب النص، فهو يأخذ في حسابانه المتلقي في ضوء معرفته ، ومعرفة اللغة التي تناسبه ومعرفة ردود الفعل الممكنة على النص ، فهو يختار ألفاظه وعباراته وصوره وأفكاره وأسلوبه بما يناسب المتلقي ؛ كي يؤثر به ويجعله يتفاعل مع النص .

ولا شك أن العمل الأدبي عند الزعبي يمثل أمانة يستدل بها على قدراته في النص الساخر ومواقفه ومقاصده معتمداً عليها في تحقيق التأثير في المتلقي ، والاعتماد على دلالات يأنس بها المتلقي وتلقى قبولاً وتحقق تأثيراً في نفس المتلقي فهو المعنى بالرسالة من المبدع ، وتكون الرسالة معبرة ومؤثرة تتفق مع أحواله نفسياً وثقافياً واجتماعياً . كما تترك المتلقي يسبح في بحر من التأويلات والتفسيرات عله يعثر على المعنى المنشود.

من خصائص أسلوبه الإيجاز وهو اللّمع والاقتصاد في الكلام ، والمفارقة اللغوية ، فالإيجاز البليغ يخفي النقد اللاذع بذكاء ولماحية عالية ، ومثال ذلك بعض من عناوين مقالات الزعبي : (برواز الدم) ، (يزاحموننا حتى في آلامنا) ، (الحالم " العربي ") (ن) (سور الحزن العظيم) ، (أحلام للخصخصة) ، (خالتي صبحية في القمة العربية) ، (محنة الشتاء والصيف) ، (سهرة سمراء) ، (انفصام) ، (ربيع أحمر) ، (إني رأيت أحد عشر تابوتاً)

فمقالة (شراك الذاكرة) يتضح فيها تصويراً بين الماضي الإيجابي والحاضر السلبي نتيجة الشعور بالحزن لدى الكاتب (الممعوط ، ص 45) ، ومقالة (امنحني إجازة لأحبك)

يتضح فيها تناقضاً ظاهرياً ، تتمثل في طلب الزعبي إجازة من المحب كي يتمكن من حبه ، مما يوحي للمتلقي البحث عن بنية خفية داخلية والكشف عن مقصد المبدع والعتور عليه ، (نرف منفرد ، ص 87) ، ، ومقالة (يأتي العيد متأخراً) يبدو وكأنّ الزعبي يقول (أتمناه لو يأتي متأخراً) حيث أنّ المبدع مثقل بما يأتي به العيد اليوم وقد اختلفت ألوانه وتغير طعمه واندثرت بهجته (نرف منفرد ، ص 25) ، ومقالة (نكشة حزيان) يبدو فيها إشارة إلى الكف عن الحديث عن الهزيمة والانشغال عما سواها ، حيث يقول : " لم تستمر حرب حزيان أكثر من ستة أيام ، بينما لم يتوقف الكلام عنها منذ أربعين عاماً ، يا إلهي ، هزيمة جعلتنا نثرثر نصف قرن ، فكيف لو كان انتصاراً ... أخيراً ، على المؤرخين الذين أطلقوا وصف " نكبة " ل 48 ، ووصف " نكسة " على 67 ، ووصف " فقسة " على 2003 .. أن يكونوا منصفين أكثر ، ويطلقوا وصف " بعطة " على العام 2007 - مع إمكانية تبديل حرف الطاء بحرف آخر مناسب - ففي لبنان " حرب نهر البارد " يعد " بعطة " للوحدة ، وفي فلسطين " حماس ، وفتح " أكبر بعطة لحلم الدولة الفلسطينية ، وفي العراق " السنّة والشيعية " بعطة للمقاومة الموحدة في وجه المحتل .. " (الممعوط ، ص 99)

وأسلوب الاستفهام لديه يهدف إلى لفت نظر السامعين وشدّ انتباههم ؛ لحملهم على التفكير في قوله ؛ وليجعل كذلك النص أقرب للفهم ويعطيه المرونة والسهولة .

ويلجأ الأديب الزعبي إلى دقة التصوير وروعة الملاحظة؛ ليرسم صورة نشعر أنّها تكاد تكون مجسّمة أمامنا، والحوار لديه حوار حيّ مصوّر ، ومثال ذلك مقالة بعنوان " سور الحزن العظيم " يقول : " لقد جرحت وأنا أقطع الجدار " (نرف منفرد ، ص 133) .

والكاتب أديب فنّان يملك خيالاً مرناً وعقلاً راجحاً وذكاءً لمّاحاً وروحاً مرنة وقدرة على

الصياغة وملكة لاختيار ما يحقق غرضه في الكتابة.

فأراد الكاتب من خلال أساليب السخرية أن ينقل اهتمامه بمشاكل وأوضاع متعددة تتصل بالوطن وخارجه.

فالأديب الزعبيّ أديب جيد سبك حروف النثر، ومؤلفاته تدل دلالة واضحة على هذه المقدره

ويكثر الكاتب من أسلوب الاستفهام وهو نوع من التفاعل مع المتلقي بوساطة جعل المتلقي يجيب عما يطرحه من أسئلة بعد التفكير والبحث عن الإجابة المناسبة، وإغناء لغة العمل الأدبي.

وجاء اعتماد الاستفهام الساخر لديه لرفع درجة الانفعال وتقوية التأثير باعتباره أسلوباً قوياً ينبض بالحياة، ويترك في ثناياه أحاسيس ومشاعر ودلالات كثيرة لها أبلغ الأثر في نفسيّة المتلقي، ومثال ذلك مقالة بعنوان " اشلعها " يقول الزعبي: " .. هل سيخفف ذلك سعر برميل النفط؟ هل سيضبط الأسعار؟ هل سيتضاعف راتب الموظف؟ هل ستقوم قائمة العرب؟ هل أصبح بني آدمي " عن حقّ وحقيقة "قال الطبيب طبعاً لا. قلت له: إذن اشلعها " (المعوط، ص 25).

وإنّ هذا الأسلوب يمتلك القدرة على تحريك المشاعر، والاستثثار بالانتباه، وحمل الأذهان على التفكير، والمشاعر على التجاوب معه.

ولقد وجد الأديب في السخرية بغيته، ومكنته من إعلاء صوت النقد ، ويكون العمل الأدبيّ عيناً ناقدة ساخرة ، والمتلقي يفكك شيفرة العمل الأدبيّ فيما يعرض في قالب هازئٍ لاه متأثراً به ، والكشف عن أخطاء المجتمع ، والمساهمة في عملية التغيير الاجتماعيّة .

يحرص الكاتب على سلامة التعبير وروعة الصياغة، وتحري الوضوح في الإبانة عما يريد قوله، والإفصاح ببساطة عن المعاني التي يطرحها ، ويحس أن حق قارئه عليه أن يصل إليه المعنى كاملاً واضحاً بسيطاً وسهلاً .

ويورد في مقالاته من روايات الحوادث التي يعرفها، أو وقعت له، أو ما مرّ به، ويلتقط الأحداث والمشاهدات اليومية، ومثال ذلك مقالة بعنوان " الرجل الأخضر " يقول الزعبي: " لكثرة ما تناولت الخبيزة هذا الشهر ، صرت أشعر أنني الرجل الأخضر الحقيقي ... أو أنني الأمين العام المساعد في جماعة السلام الأخضر .. بل أعتقد أن اسمي سيصبح أكثر منطقيّة وانسجاماً مع الخبيزة ، لو استبدلت به " اخضر حسن الزعبي " . (أوجاع وطن ، ط2 ، ص113)

لذلك فهو متميّز في كتاباته يختلف فكراً وأسلوباً ومنهجاً، وله شخصيته المتميّزة ، وله أسلوبه المنقّرد ، وكتاباته قريبة من نفس المتلقي بالغة الأثر .

ومقالات الكاتب تبدو فيها شخصيته جليّة جذابة تستهوي القارئ وتستأثر بلبّه، وعدّته في ذلك الأسلوب الأدبيّ الذي يشعّ بالعاطفة ويثير الانفعال ويستند إلى ركائز قويّة من الصور الخياليّة، واعتماد العبارات الموسيقيّة والألفاظ القويّة الجزلة في بعض الأحيان ، ومثال ذلك مقالة بعنوان " البّورة " يقول الزعبي فيها : " يسود صمت جديد مع قدوم النور المتواضع .. بينما ثمة سؤال راقص في دماغي يشبه لهبة السراج يضيئ زوايا التفكير المعتمة .. لماذا يقطعون الكهرباء عندما يمر مسؤول كبير ؟؟ وإذا كان مسؤول كبير إلى هذه الدرجة ، لماذا يمر خفية من الحدود !! ما الذي سيفعله بعد أن يقطع الحدود ذهاباً أو إياباً ؟ ماذا يرتدي ؟ .. لا أدري إلى اللحظة إذا كان ذلك المبرر الذي كان يطلقه أبي عند كل " انقطاع " حقيقياً ، أم إنّه من صنع خياله أيضاً .. على أي حال كنت أعقد يدي على ركبتي المنتصبين وأراقب الأشياء التي ضخّمها بصيص السراج .. فأرى " عُرة " أخي شجرة زيتون ، والمسمار في الحائط عسكرياً مناوباً ، و " شربوشة " الستارة جرس كنيسة .. وقلم الرصاص مئذنة .. وشماع أبي خيمة عريضة ، ويدي جناح غراب .. أتمادى في التخيل حتى ينفد زيت اليقظة من جفني وينطفئ

سراج العين وأنام يا لهذا الزمن القاحل من كل شئ : حتى المطر أصبح ذكرى .. والعمّة
 أمنية .." (أوجاع وطن ، ط2 ، ص 99) ، ومقالة بعنوان " وجعي " يقول الزعبي : " كلما
 أتخمني موجز الأخبار ، بصلوات " القنوت " .. وهتافات " غزّة لن تموت " .. وكلما قرأ خطباء
 الشتات على مسامعنا بيانات الاحتجاج .. زحفت على قوائم الأربع ، ودست على وجعي
 الأوجع ، وسكنت في حظيرة النعاج .. " (أوجاع وطن ، ط2 ، ص 15)

اللغة

اللغة وسيلة الإبداع والمادة الأدبية الأولى التي تجسد أدبيّة العمل الأدبيّ، فهي عنصر مهم
 فلا حياة أدبيّة بدون لغة .

يمكن تعريف اللغة بما يأتي: أنّ " اللغة تعدّ اللبنة الأساسيّة للأسلوب الأدبيّ وتشكيلها أمر
 مهم في بناء الأسلوب، لذا لا بد للشاعر أو الأديب من تخيّر ألفاظه وتجويد صناعته" (مندور ،
 1974م، ص37).

وتستمد السخرية عند الكاتب الزعبي قوتها من اقترابها للغة المحكيّة في بعض عباراتها فهي
 ذات طابع شعبيّ ومثال ذلك قول الزعبي: (على قفا من يشيل) ، (بياخة) ، (تأخير بكرا
 الصبح ما بدّي) ، (إن شاء الله بسمع نفس) ، (شلون هالرحلة) ، (خالص كازه) ، (ماكل
 ديزل) ، (أبوك يالديزل) ، (الدم للركب) ، (ظلّك دغري) ، (الماخوذ ، الخايس ،
 الخاير، المهودم) ، (شلون شايفلي هالغرض) ، (بعد ما بيّن خيره من شرّه) ، (المقبعة) ،
 (الجغم) ، (التشقيح) ، (تع بوردي) ، (بهري وبره) ، (الستيرة) .

يوظف الكاتب اللغة المحكية؛ وذلك لقربها من المألوف الشائع بين الناس في منطوقهم
 ويحقق التواصل معهم فيتفاعل المتلقي مع المبدع.

وتوظيف اللغة للاهتداء إلى صور غريبة مضحكة تفاجئ المتلقي؛ ليشهد له بالإبداع والاختراع ، وتكون ذات وقع قويّ لتخرج من حدّ الإمتاع إلى حدّ الإبداع ، ومثال ذلك مقالة بعنوان "عيد شمّ الجميد" يقول الزعبي : " أرجوكم اخترعوا لنا عيداً نشمّ فيه رائحة أي شيء ... سوى رائحة أعمارنا المحترقة تحت جلودنا !! " يقابل الكاتب بعبارة عيد شمّ النسيم (سوالييف ، ص 53) ، ومقالة بعنوان " مطلوب وطن " يشير إلى ما لا يطلبه المرء فهذا الطلب خارج عن المألوف فالعادة تكون طلب بيت أو طلب سيارة أو طلب أرض فكيف يمكن للمرء أن يطلب وطناً وهو في الوطن ، فيقول الزعبي : " إذا كان إعلان تجاريّ مخطوط بالحبر ، مكتوب بالعبري ، مدفوع الأجر ، سيستعيد وطناً .. إذن فاحجزوا للكرامة العربيّة صفحة كاملة في صفحات النعي " (أوجاع وطن ، ط2 ، ص125) .

ولغته اللغة المطعّمة باللّهجات العاميّة والموروث الشعبيّ والأقوال المأثورة ، واللغة تقترب من الذائقة العامة أو الذائقة النخبويّة ، واعتماد الأمثال الشعبيّة رافداً قوياً من روافد التعبير الساخر ، واعتماد الأقوال المأثورة غاية من الحكمة ودليل على الثقافة والبراعة في الاستهلال ، ومثال ذلك مقالة بعنوان " أمثال معاصرة " ومنها : " البديع في مواجهة الصقيع ، ألف باء حلول الشتاء ، أسرار وألغاز في توفير الكاز ، الوفير في مباديء التوفير ، الحل الجاري في استخدام البواري ، مختصر القواعد في شرح الجواعد ، الأسلوب الكامل في تدبير الراتب الهامل ، مئة طريقة وأكثر في توفير استهلاك التركتور ، على قد كازاتك دفّ إيديك ، ياماخذ الموزّع على غازه بروح الغاز ويظل الموزّع على حاله ، ابطح الجرّه ع جنبها ببين صدقها من كذبها " (الممعوط ص 79) .

فالمثل القائل (على قد لحافك مدّ رجلك) يقابله عند الكاتب (على قد كازاتك دفّ إيديك)، والمثل الشائع (يا ماخذ القرد على ماله بروح المال وبطلّ القرد على حاله)، يقابله عند الكاتب

(ياماخذ المورّع على غازه بروح الغاز وبطل المورّع على حاله)، والمثل القائل اقلب الجرة على ثمها بتطلع البنت لأمها) يقابله الكاتب (ابطح الجره ع جنبها ببين صدقها من كذبا).

والأديب الزعبي يعتمد انتقاء الألفاظ والاستعانة بدلالاتها ؛ لينفذ من خلالها إلى عواطف المتلقين ، ومن هذه الألفاظ بعض عناوين المقالات : (خروف العيد ، جمل علي ، أهلاً بالحمير ، تعديل أجور ، نيّاله ، ممنوعات ، ملح الدار ، حب زمان ، نشرة نص كُم ، قبلة مسائية ، بروفة للانبساط ، مسك اليد ، الصفعة ، المستحيلات الأردنية ، فتاوي سياسية ، مهرجان بيت الطين ، الحدود ، وأنتِ قربي ، شقفة وطن ، برواز الدم ، عراة حتى من ورقة الموت ، حبر السياسة أعلى من دم الضحية ، حماة طاحونة الدم ، دماء الياسمين ، رسولاً للحرية ، رداء الشوق ، عيد الغريب ، وغيرها) ، يبدو الكاتب يركز على انتقاء الألفاظ لينفذ من خلالها إلى نفس المتلقي ويشدّ انتباهه ويلفت نظره .

واللغة عنده تبدو سهلة واضحة ، بعيدة عن التعقيد والغموض حين يتحدث عن مصائب الشعب ؛ لتؤدي الغاية من الكتابة ولتصل للمتلقين ، ومثال ذلك مقالة بعنوان " سحابة رماد " يقول الزعبي : " ... منذ ستين عاماً وأنا عالق في (ترانزيت) القرارات الدولية ، أسمع خطا المجتمعين ، ولا تفتح لي بوابة ، موتي معجل ، وحقيقتي فندي ، بيدي (بورنج الترانسفير) ، وأجلس على مقعد الوجع الدائم ، لا أحد يسألني ، لا أحد يحدثني عن موعد العودة .. كلما هاج محرك طائرة خلف الأسوار أو صقر سنونو ، رفعت رأسي من خلف زجاج الوقت مبهجاً .. منذ ستين عاماً وأنا أنتظر زئير القمم ، فتموء قربي الخيبة ويحتك ظلّها بي ... أنا المسافر الذي لا يسافر ، أنا المواطن الذي لا (يواطن) ، منذ ستين عاماً وأنا أتكور على كرسي الانتظار ، تمرّ من أمامي أمم شقراء وبيضاء وسمراء وصفراء ، يجرون حقائب الحضارة ، يقلعون على متن

الوطن .. وأنا أبقى احتضن جثة (حقيقتي) أحلم بمستطيل أرض يضم جسدي وأحلم بكفن ..
 أنا سحابة رماد المتوسط .. فاخشوني إن تُكثف غبار وجعي وأمطركم حمماً أنا القضية ..
 " (نرف منفرد ، ص 183) ، ومقالة بعنوان " اللص والحرامي " يقول الزعبي : " في مسرحية
 فيروز الأسطورة : (ناس من ورق) ، يقوم أحد أبطال المسرحية بالاعتراض على تسميته
 باللص ويفضل أن ينادى بالحرامي .. معتبراً أنّ هناك فرقاً كبيراً بين اللص وبين الحرامي .. وإنّ
 مناداته باللص يحتوي على قدر كبير من الإهانة ، على عكس كلمة حرامي التي تحمل نوعاً من
 التعاطف والاحترام ، ثم يميّز بطل المسرحية على لسان الرحابنة بين مفهوم اللص والحرامي
 فيقول : إنّ اللص عادة يسرق ليغتني ، أمّا الحرامي فيسرق ليعيش .. وتمضي المسرحية
 بأحداثها بتوافق جميع الأطراف على هذا التفريق .. توقفت كثيراً عند التمييز السابق ، ووجدت
 أنّ الرحابنة معهم حق .. فهناك فرق كبير بين الاثنين .. أولاً : بما أنّ اللص يسرق ليغتني
 فذلك يعني أنّه يسرق بالليل وبالنهاري .. أمّا الحرامي فيسرق بالليل فقط ، ثانياً : اللص قد
 يستخدم أكثر من ستار ليختبئ خلفه .. بينما الحرامي فليس له ستار سوى ستار العتمة .. ،
 ثالثاً : اللص لا يشبع من سرقة واحدة لأنّ هدفه الثروة .. بينما الحرامي يكتفي بسرقة واحدة
 لسدّ عيشه .. ، رابعاً : اللص قد يسرق الغني والفقير .. أمّا الحرامي فلا يسرق إلا غنياً .. ،
 خامساً : اللص لا يمكن القبض عليه .. أمّا الحرامي دائماً يلقي عليه القبض آه .. ما أرحم
 الحراميّة !! " (الممعوط ، ص 181)

والجدير بالذكر أنّه لا يمكن الفصل بين اللغة والموضوع والشكل والتلاعب بالكلمات وإدخال
 العاميّة أحياناً ، وهي أساليب لتشويق القارئ ولكن يجب أن يكون لديه ما يقوله ؛ ليوصله إلى
 دماغ وقلب القارئ كي يتأثر بها ، وهذا بحد ذاته جميل النجاح في إضحاك الآخرين مع إيصال

رسالة ما ، ومثال ذلك مقالة بعنوان " عرقي حبر وجلدي ورق " يقول الزعبي : " طوى عامل رسالته المكتوبة بخط مرتجف ، أدخلها في مغلف قديم ، ثم وضعها في صندوق بريد من غير طوابع ، ومضى إلى عمله في يوم عيده .. المرسل : عامل ، المرسل إليه : الحكومة ، كل عام وأنتم بخير ، أنا لم أعتد على التهاني مثلكم ، لذا اسمحوا لي إن هنأتكم بعيدي ونسيت نفسي ، فأنا مذ وُلدت أذكركم وأنسى نفسي ، أدعي لكم بطول العمر وأنسى نفسي ، أنفذ المطلوب مني وأنسى نفسي ، ، أفرح لبقائكم ، لثرائكم ، لقصوركم ، لسالاتكم ، وأنسى نفسي .. لا عليكم ، يبدو أنني حقاً نسيت نفسي ، هدفي في هذه الرسالة المكتوبة بحبر العرق أن أذكركم فقط أنني ما أزال كما تمنيتموني .. أصحوا باكراً مثل السنونو ، أحمل أدواتي بصمت ، أمضي بصمت ، أحبّ وطني بصمت ، أعمل بصمت ، أمرض بصمت ، أجوع بصمت ، أتألم بصمت ، أعود إلى البيت بصمت ... وإن متّ أموت بصمت أيضاً .. أحمل أولادي على ظهري على طوافة الحياة ، من تشبّث بالعيش نجا ، ومن سقط مات ، أنا يا سادة لا أستطيع الانحناء لألتقط أي منهم ، فلي ظهر واحد وعندي عشرة أفواه ... صدّقوني ، أتسلّى بكلامكم أحياناً وقت المساء ، مثل أغنية قديمة ، أو مسرحية معادة .. سامحوني .. يجب أن أخبركم ، أحياناً تنتهي فوق شفّتي ابتسامة بطيئة مؤلمة كانتثناءة حديد التسليح .. أسمعكم تقولون أنّ لي حقوقاً لا أعرفها ، ما أروعكم !! حتى لو عرفتها فلن آخذها ، فلماذا أزعكم إذن؟! بصراحة بوّدي أن أركض إليكم وأرمي بنفسي على طاولتكم ، أو أدرس نفسي بين أوراق البريد .. أنا رسالة تعب ، فعريقي حبر وجلدي ورق .. أدور حول الرغيف مثل ثور الساقية دونما توقف .. ومع كل هذا ، لم أقطع جدول أعمالكم يوماً بشكوى ، ولم أنغص صباحكم بمطالبة ، لم أشارك باعتصام ، ولم أقف دقيقة حداد .. كلما رأيتم تطوفون بالميدان ، ابتعدت ، فلا أريد من رائحتي التي تثير العطاس ،

أن تسبب لكم الغثيان .. شهيقى رضا وزفيرى (عيش الأولاد) .. سريرى إسمنت ، وغطائى
 رغيف .. أنففس حاجتى ، وآكل حاجتى .. لا أسطو ولا أبطر .. عينى على لقمتى ، ولقمتى
 تملأ عينى .. ولا أطمع من هذا الوطن سوى فى قبر يوارينى عن الأنظار ، كما ووريت عنكم
 فى الحياة .. فى الختام أعدكم أن أبقى - كما أنا - مسدوداً فى الصمت مجبولاً فى العجز ..
 فقط مقابل أن ترفعوا أيديكم عن خبزى .. ملاحظة : أعرف أنّ رسالتى هذه من غير طوابع ، لذا
 كتبتها وأنا مرتاح البال أنّها لن تصلكم أبداً .. التوقيع : عامل " (نرف منفرد ، ص 185)

وإنّ نثرية الأسلوب تتطلب اعتماد اللغة الطبيعية ، وبساطة الكلمات ، واستعمال الكلمات
 العامية ، والابتعاد عن استعمال الكلمات الصعبة والغامضة ، واللجوء إلى المفردات البسيطة ،
 ومثال ذلك مقالة بعنوان " ستار أكاديمى " يقول الزعبي : " فانتى قطار (ستار أكاديمى هذا
 العام ، مع أنى تحمست للاشتراك به منذ العام الماضى ، بعدما رأيت أنّ الأمور (شوربة) هناك
 فى الأكاديمية ، وتابعت جميع القصص (الطرمة) لكن كالعادة كنت أنسى الأمور الكبيرة ،
 وألّفت إلى الأمور الصغيرة ، كحروب الفياضانات ، وفياضانات الحروب ، والمعارك الانتخابية
 وما يلازمها من جمع (الفشك الفاضى) . قال لي صديق مهتم ومتابع جيد : حتى لو تقدمت
 للبرنامج فإنهم لن يقبلوك ، لأنهم يريدون (فرافير) من الشباب والبنات ، وأنت (هرش) ، ولا
 تصلح للبرنامج ، وقال لي أيضاً : أنت بمظهرك الحالى تصلح لبرنامج أرضنا الطيبة ، حدث فى
 مثل هذا اليوم ، مرّوا من هنا ، الشرطة فى خدمة الشعب ، على درب السلامة ، عفيه الذيب
 .. أى شيء إلا تلفزيون الواقع .. قد يكون صديقى محقاً ، ماذا سيصنع واحد (هرش) مثلى
 بين شباب (البسكويت)؟! وكيف سأتعامل مع رندا وإيمان وفهد وحسين؟! كيف أغير مجمل
 عاداتى وأصبح فى خلال أيام (تبع إتيكىت ونغفة)؟! فهم يصحون متأخرين مهرولين على

النسكافيه ، وأنا أصحو باكراً راکضاً ومعِي دلو (رايب) ، هم يصحون يقرمشون البسكويت ، وأنا (أقرمش) من البرد ، هم يبدؤون يومهم بأحاديث وثرثرة تافهة عن فلان أنه أزعج فلان ، أو فلان لا يطيق فلان ، وأنا أبدأ يومي إيماءً (اصبح) على من حولي بالإشارة ، وأطلب كأس شاي بميرمية بالإشارة ، أفطر حمصاً وفلافل بالإشارة ، وأحمد الله بالإشارة أيضاً حتى ينتصف النهار . الحمد لله أنني لم أتورط وأتقدم للبرنامج .. بالتأكيد هم المحظوظون ، لأنني لو دخلت معهم بهذه (الميمعة) لخرّبت عليهم (السحجة) ، فأنا رجل عصبيّ ، ويدي (فرطة) ، ولا أطيق العوج و (الزناخة) أبداً ، أخلق ذقتي مرّة بالأسبوع ، وأمشت شعري (على جنب) ، وألبس سروالاً قطنياً رقيقاً تحت البنطال باستمرار لأتقي البرد ، وطوال النهار (مجرّ) بعينيّ ، والذي يدوس لي على طرف (بهري وبره) ، فكيف سألبس بيجامة (ستار أكاديمي) الضيقة ، وأنا لا أملك سوى طقمين من السراويل الصينية البيضاء ، وطقميّ شبّاحات (مهربة) ؟ وكيف ستطلب منّي مدرسة الموسيقى أن أغني على السلم الموسيقي ، وأنا لا أعرف سوى السلم الذي أصعده كل ليلة لأتفقد ماء الخزان ؟ وكيف تطلب منّي مدرسة الرياضة (الزاكية) أن أفتح رجلي 180 درجة ، وأن أقفز نصف متر ، أو (أنط) على الحبل ، وأنا أعجز أن أضع رجل على رجل ، وبطبعي أكره الرياضة ؟ كيف ستطلب منّي معلمة الرقص أن (أترقوص) وأهزّ أكتافي بحركة لها علاقة بميل الجذع و (طعج) القدم اليسرى ، وهي لا تدري أنني (أخربط) حتى في المشي ، فأنا وأخي إبراهيم نكاد نكون الرمشاويين الوحيديين اللذين لا يجيدان (الدبكة) ، ولا يرغبان بتعلّمها ، فهل أرقص على آخر الزمن ؟ وكيف سأحتاج لموقف أربت فيه على كتف هشام ولا (أجلده خماسي) في موقف آخر ؟ .. مرّة أخرى هم محظوظون ، فلو كنت من ضمنهم و

(انقردت) اللجئة واخترتني من بين (النيمونيه) .. وقتها سيظهر العقل (المنضب) ،

وسأريكم ماذا سأفعل بأحمد الكويتي (الزنخ أبو طاقية) !! " (سواليف ، ص 57)

وكما تبدو الوحدة الموضوعية بنية حية متألفة بحيث يتحد المضمون مع الشكل، والتناسب

بين الشكل الفني والمضمون ، وتكون اللغة لغة مأنوسة واضحة ولغة بسيطة سهلة متداولة ، ومثال

ذلك مقالة بعنوان " زمن العجايز " يشير إلى أحاديث النساء في جلساتهم(الممعوط ، ص 59).

واللغة لدى الكاتب الزعبي واسعة الدلالة وعميقة الإيحاء واللغة تنير الإبداع ، كما إن لغة

النص مرتبطة بموضوعه ، وإن معجمه اللغوي معجم فني من باب العفوية وتوارد الخواطر

والتوظيف الفني للغة تابع للمضمون ، وتبدو سعة رؤية الكاتب للغة المجتمعية بألفاظ رقيقة وألفاظ

جزلة لإبعاد الملل وشد الانتباه ، ومثال ذلك مقالة بعنوان " مقتنياتي " يقول الزعبي : " الخبر الذي

قرأته عن بيع مقتنيات مارلين مونرو بأكثر من مليون دولار ، أحيا فكرة كانت تراودني منذ زمن ،

وتتلخص في الاحتفاظ بجميع مقتنياتي الشخصية ، علها تصبح ذات قيمة بعد وفاتي ، وينتفع

بها (عز) الأولاد الذين سأتركهم ورائي .. ما أزال أحتفظ بفردة جوارب مثقوبة من جهة إصبع

الإبهام لبستها عندما نُشر لي مقالتي الأول ، و (كستك) ساعة قُطع وأنا أزاحم بمجمع إربد

بطريق العودة في أول يوم جامعي ، ودفتر 32 كنت أسجل عليه (كيس الطرنيب) ، وزجاجة

عطر تركيب فارغة ، ومفتاح معلبات اشتريته في أول يوم غربة ، ونظارة شمسية (أم الدينارين)

اشتريتها من (بسطة) في شارع السينما ، والكثير الكثير من (كركش) الماضي .. احتفظت

بكل هذه الأشياء من باب الاحتياط ، فإذا ما مت بعد خمسين عاماً بجرعة زائدة من (الشنينة)،

سيقف أحد الورثة بمبنى مجمع إربد / عند شبّاك باصات (حجازي) وبجانبه رجل سمين وطويل

لا أعرفه (تخصص مزادات) ، يبدأ بالنداء (على دوّه .. على تري .. مين يفتح المزاد ؟) ،

يلتَمّ حوله مجموعة من الشباب والمهتمين ، وبعض العسكر الذين ينتظرون باصات قراهم ، وبعض النساء العائدات للتوّ من عيادات النسائية ، وبعض بائعي الدخان والسمسيّة ، يقبلون مقتنياتي (الفارطة) ، مكتوب عليها : (علبة دهن القشب) دهن منها الكاتب أحمد الحسن يديه بتاريخ 1989/3/22م الساعة الرابعة وخمس وعشرون دقيقة صباحاً ، مقص شوارب الكاتب الراحل فلان الفلاني ، فرشاة حلقة المرحوم ، فرشاة أسنان المغفور له ، علبة (كيوي) (مرسوم عليها صورتي وأنا صغير وتوقيعي كذلك) ، مع شرح مختصر : (هذه العلبة التي كان يأكل منها الفقيد) ، فقد (عاش ماكل كيوي .. ومات ماكل كيوي أيضاً) .. الفاتحة .. " (سواليف ، ص 123)

وفي أسلوب السخرية مقدر على الاستفادة من التراث الأدبي العربي ، والسخرية تظهر صدقاً في مشاعر كاتبها وقوة في مغزاها السياسي والجدل من خلال الأفق الساخر لوعي جيل لخدمة الواقع ورؤيته لواقع جديد ، وإنّ اللغة الشعبيّة أو شعبيّة اللغة ليست دليلاً على تدني مستواها الذوقي والأدبي .

واللغة الإبداعية للكاتب الزعبي تحنك للخيال والحرية الفنيّة للأديب حين يكتب ، وهي في السرد عمل فنيّ جميل .

واللغة شكل ومعنى فالدلالات والمعاني الكامنة في النص لا يسبغها عليه قراؤه فحسب، بل إنّ البناء الفنيّ ذاته هو الذي يوحى بها ويبثها من خلال شكله، ويترك للغة الحرية المطلقة لتعمل بنفسها عبر العمل الأدبيّ؛ لتصنع جماليّة الأعمال الأدبيّة وترتبط قيمة اللغة ومعناها أساساً بعلاقتها بالمجتمع والبيئة التي أنتجتها .

وتبدو اللغة أداة للتعبير عن طموح وآمال المجتمع وصورة من صور حياته، وفكر الأديب المعبر عن أحداث الواقع.

ويعمد الكاتب إلى استخدام لغة الحوار وتبادل الحديث بين طرفين يسعى كلّ منهما إلى بيان موقف معين من قضية معينة دون إلزام الطرف الآخر بالرأي ، أو تبنيه لنفس الفكرة ، وقد يكون الحوار خارجياً أو داخلياً ، والحوار تبادل نقاشات مع الآخر أو مع النفس وربطه بالسخرية من الواقع المعيش ، ومثال ذلك مقالة بعنوان " مكاتيب " (أوجاع وطن ، ط2 ، ص19) ، كما يلجأ إلى استخدام الصورة أداة للتعبير عن الذات وعن المجتمع بشكل عام وتعبير الكاتب عما بداخله وتنقيساً عن معاناة المجتمع وآلامه ، ومثال ذلك مقالة بعنوان " حزن تحت الصفر " (نرف منفرد ، ص 125).

وهو يلجأ أيضاً إلى اختيار الكلمة المعبرة عن المعنى المقصود بإيجاز وصحة اللغة وسلامتها نحوياً والإثارة الفكرية والعاطفية والوصف الحي والواقعي والاهتمام باللفظ والمعنى، ومثال ذلك مقالة بعنوان " عراة حتى من ورقة الموت " ، " مهرجان بيت الطين " ، " الشجاعة والاستطاعة " ، " الصيت ولا الغنى " ، " خارطة الطريق " وغيرها.

يمكن القول إنّ الكاتب الزعبي من أبرز كتّاب المقال الساخر في الأردن بما يتصل به من أفكار ومضامين وأساليب وملامح ساخرة، وله إبداع صحفيّ به ودقّة انتقاء وحسن تصوير ويركّز على العنوانات والمقدمات والنصوص والنهايات.

والسخرية عنده أسلوب يعبر به عن معاناة فردية ومعاناة جماعية، وتجربة الكاتب الزعبيّ تجربة إبداعية في السخرية، وأصبغ أدبه بلون السخرية، وجعل له سمة وطعماً يختلف عن غيره من المبدعين.

وشملت سخريته قضايا متعددة عاشها المجتمع وأثرت فيه، وأسلوبه الساخر الناقد بارز في مؤلفاته ولفت الأنظار وجذب الانتباه نحو الظواهر السلبية والمنحرفة.

فهو أديب ساخر استوعب مسؤوليته الاجتماعية، وأشار إلى مواضع الفساد والزيف مستخدماً أساليب مختلفة للتعبير، ومنهجاً فكرياً ولغوياً أثرت أفكاره.

الفصل الخامس

المبحث الأول : مفهوم الكناية

المبحث الثاني : نماذج نصية تمثل التعبير الكنائي في مؤلفات أحمد حسن الزعبي

الفصل الخامس

المبحث الأول

مفهوم الكناية

قبل البدء بكشف دور الكناية في كتابات الأديب الزعبيّ يجدر بنا الإلمام بآراء البلاغيين بدورها، وأثرها النفسيّ الذي تتركه في المتلقي ، وحفزه على اكتشاف المعنى المتواري أو الطاقة الكامنة في الشاهد الكنائيّ ، فقد حظيت الكناية على مرّ العصور باهتمام عدد كبير من البلاغيين وتزخر مصادرهم بألوان الكناية وأقسامها .

ولقد عرض البلاغيون للكناية وعرفوها تعريفات عديدة فمنهم من رأى أنّ :

الكناية صورة كلاميّة كما هي عادته استتر فيها اللفظ الأصليّ الموضوع للمعنى وظهر

لفظ غيره . (الجاحظ(ت255هـ) ، 1948م ، ص263)

وأما المبرد (ت285هـ) فقد قسّم الكناية إلى ثلاثة أقسام : ما كان للتفخيم والتعظيم ،

وما كان للتغطية والتعمية ، وما كان رغبة في اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من

غيره . (المبرد ، 1323هـ ، ص6)

أي أنّه يشير لما تؤديه الكناية من فائدة في صناعة الكلام .

ولقد تحدث ابن سنان الخفاجي (ت466هـ) عن الكناية في كتابه سر الفصاحة حول تأليف

الكلام " ومن هذا الحسن حسن الكناية عما يجب أن يكتمى عنه في الموضوع الذي لا يحسن فيه

التصريح " (الخفاجي ، 1350هـ ، ص192)

والكناية " فن من القول دقيق المسلك لطيف المأخذ ، وهذا أن نراهم كما يصنعون في نفس

الصفة بأن يذهبوا مذهب الكناية والتعريض كذلك يذهبون في إثبات الصفة في هذا المذهب ، وإذا

فعلوا ذلك بدت هناك محاسن تملأ الطرق ودقائق تعجز الوصف ، ورأيت هناك شعراً شاعراً وسحراً ساحراً وبلاغة لا يكمل لها إلا الشاعر المقلق والخطيب المصقع ، وكما أن الصفة إذا لم تأتكم مصرحاً بذكرها مكشوفاً عن وجهها ولكن مدلولاً عليك بغيرها كان ذلك أفخم لشأنها وألطف لمكانها كذلك إثباتك الصفة للشيء تثبيتها له ، إذا لم تلقه إلى السامع صريحاً وجئت إليه من جانب التعريض والكناية والرمز والإشارة كان له من الفضل والمزية ومن الحسن والرونق ما لا يقل قليله ولا يجهل موضع الفضيلة فيه (الجرجاني (ت471هـ) ، 1961م ، ط2 ، ص240)

أي إنَّ الكناية وجه من أوجه البيان كما يراها عبد القاهر الجرجاني ووادٍ من أودية المبدعين وغاية لا يصل إليها إلا من كان لطيف الطبع صافي القريحة .

وإنَّ مفهوم الكناية عنده عام فهو ستر المعنى وراء أيّ لفظ آخر غير اللفظ الأصليّ

ويشترط عبد القاهر الجرجاني لحسن تصوير الكناية وجمالها أن يوجد التناسب بين

ألفاظها ومعانيها . (الجرجاني ، 1961م ، ط2 ، ص343)

وعند ابن الأثير (ت637هـ) الكناية مشتقة من الستر وهي اللفظ الدال على الشيء على

غير الوضع بوصف جامع بين الكناية والمكنى عنه أو اللفظ المحتمل (ابن الأثير ، 1963م ،

ج2 ، ص50)

ولقد تحدّث مصطفى أحمد المراغي عن الكناية في الاصطلاح تطلق على معنيين المعنى

المصدري الذي هو فعل المتكلم أعني ذكر اللفظ الذي يراد به لازم معناه مع جواز إرادته معه ،

واللفظ المستعمل فيما وضع له لكن لا يكون مقصوداً بالذات ، بل لينتقل منه إلى لازمه المقصود

لما بينهما من العلاقة واللزوم العرفي (المراغي ، 1982م ، ط1 ، ص395)

وعلي الجارم ومصطفى أمين تحدّثا عن الكناية وعن الأسلوب الكنائي وأثره في حسن

الصورة وتصوير المعنى ، وقد حصرا بلاغة الكناية فيما يلي : تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها ،

والقضية في طيها برهاناً ، وتبرز لك المعاني المجردة في صورة المحسوسات ، وتمكّنك أن تشفي غلتك من خصمك من غير أن تجعل لها سبيلاً عليك ، ودون أن تخدش وجه الأدب والتعبير القبيح بما تسيغ الأذن سماعه . (الجارم وأمين ، 1383هـ ، ص 123)

وعرّف بدوي طبانة الكناية حيث يقول أسلوب الكناية في البلاغة العربيّة من أهم الأساليب التي يلجأ إليها الأدباء لتحقيق غاية الكلام في محاولة إخفاء المعنى الصريح ذلك الإخفاء الذي يجنبهم كثيراً مما يخشون التصريح به ، أو ما لا يرضونه لعباراته من الفحش والابتذال ، وهو في الوقت نفسه يستثير الشوق في نفس القاريء والسامع ، فيجد كل منهما المتعة الفنيّة التي يصل إليها بعد البحث والتأمل والإدراك ، فيظل أثرها باقياً في نفسه ، ويبقى الاستمتاع بها وقتاً طويلاً (طبانة ، 1962م ، ص 176)

والكناية هي عدول عن التصريح بالمعنى إلى ما هو أجمل منه وأليق ؛ لخدمة أغراض تتصل بالأدب و رهافة الحس . (راضي ، د.ت ، ص 236)

وهناك من يرى أنّ الكناية ذات دلالتين تقوم كلّ منهما في إنتاج معنى أوّلٍ مباشر يمكن تشبيهه بالواجهة ، وآخر عميق ناتج عن فكرة اللزم التي تحصل بعد التركيز في الغرض الذي يرمي إليه المتكلّم . (كحيل ، 2004م ، ط 1 ، ص 113)

ونلاحظ مما سبق أنّ هناك إجماع واتفق عند العلماء أنّ الكناية إطلاق لفظ وإرادة لازم معناه ، وهي على هذا الأساس تحمل معنيين معنى قريباً وآخر بعيداً والمعنى البعيد هو المعنى المعوّل عليه في التعبير الكنائي .

ولقد تمّ دراسة الكناية في مؤلفات القدماء والمحدثين من علماء البيان العربيّ وكشف النقاب عن أسرارها البلاغيّة وإزاحة الستار عن بعض محاسنها ومفاتها ، فالكناية صورة بيانيّة وضحت سماتها وتحددت معالمها واستقلت عما عداها ، وتميّزت تميّزاً تاماً واستقلت استقلالاً كاملاً ، ولبست ثوباً من السحر والفتنة واتسعت دائرة البحث فيها وإظهار أسرارها البلاغيّة بوضوح في العصر الحديث .

المبحث الثاني

نماذج نصية تمثل التعبير الكنائي في مؤلفات أحمد حسن الزعبي

إنّ الكاتب الزعبيّ واحد من الكتّاب الأردنيين الذين اتخذوا من الكتابة الساخرة سبيلاً ؛

لتحقيق هدفه في نقد المجتمع نقداً سياسياً واجتماعياً وثقافياً بلغة ساخرة ، فالزعبيّ يوظّف قلمه

لرصد الأشياء ورصد الأحداث في مقطوعاته النثرية .

وفي لغة الزعبي وفي مقالاته تبرز قدرته على تحويل الأحداث الاعتيادية بألفاظ غنيّة

بالدلالات والإيحاءات إلى أحداث تمتلك عقل المتلقي وروحه معاً مستنداً بهذا إلى أسلوب شيق

دقيق يحول النكته إلى نقد لاسع تستقرّ الصمت وتثير الدهشة ؛ لتحقيق الهدف المنشود من الكتابة

وهو التأثير في المتلقي .

واللغة التي يستخدمها الزعبيّ لغة مختلفة يأخذها مادّة خاماً ، ثم يعجنها بأسلوبه وأدواته

ويزخر معها ببناء النص بمعانٍ خفيّة .

ومن عناوين مقالاته ما يؤكد توظيف الكناية لدى الزعبي فمثال ذلك : **الداطون** (كناية عن

الرضا بالعيش) ، **البتاع** (كناية عن غرض ما) ، **فوق الهم زُلبّة** (كناية عن تدهور الأحوال

للأسوء) ، **يخسا الذيب** (كناية عن تلبية الطلب) ، **ولا معلّم عليك** (كناية عن المنظرين الذين

يصدرون الأوامر) ، **الممعوط** (كناية عن المرء مسلوب الإرادة) ، **أسافين** (كناية عن ضربات

قاسية) ، **على حطة إيدك** (كناية عن عدم تغير الحال) ، **جهد بلا** (كناية عن المصيبة) ،

قو الغانمين (كناية عن التحية) ، **تصبحون على رغيف** (كناية عن الفقر والحاجة) ، **مسك**

اليد (كناية عن الجرم المشهود) ، **الصيت ولا الغنى** (كناية عن الكرامة) ، **أولاد المسعدين**

(كناية عن الأغنياء) ، وغيرها من العناوين .

ويمكن القول إنّ هذه العناوين تتسم بالقصديّة والانتقاء ، كما تستدعي انتباه المتلقين ، ولفت نظرهم في البحث عن مكنون هذه التعابير ، والكشف عن معناها الخفيّ .

ولا شك أنّ التعبير الكنائيّ وسيلة للتواصل اليوميّ ، وتزخر مقالاته بالتعابير الكنائية ، ومن الأمثلة على ذلك عند الكاتب الزعبيّ: " (على قفا من يشيل) كناية عن الكثرة ، (شميمة الهوا) كناية عن التنزه والرحلات ، (زي القطران) كناية عن الرجل المتسلّط ، (سواقتك مطابشة) كناية عن التهور وعدم التركيز ، (مقرط العصا) كناية عن قرب المسافة ، (مش صلحة) كناية عن عدم اللباقة ، (تع قضّب زلم) كناية عن عدم تحمل المسؤولية ، (فلان طالعلي بالسحبة) كناية عن الرجل دائم التواجد والحضور وغير مرغوب به ، (والنعم والسبع تنعام) كناية عن الفخر ، (الغشمنة) كناية عن عدم المعرفة ، (تبع إتيكيت ونغنعة) كناية عن الأناقة والترف ، (مداقرة) كناية عن الطيش ، (خرابيش جاج) كناية عن الخط الرديء ، (مثل سواليف الحصيدة) كناية عن التسلية وتضييع الوقت ، (مشى الحيط الحيط) كناية عن طلب الستر والرضا والقناعة ، (طار ضبان عقله) كناية عن الاندهاش والذهول ، (بعرضك حلّ عني) كناية عن طلب الابتعاد ، (حظ عينك بعيني) كناية عن التحدي ، (الفذلكة) كناية عن الثثرة ، (الزهزمة) كناية عن الانبساط ، (هجنة) كناية عن الاستغراب ، (اللي برضى بعيش) كناية عن القناعة ، (قواة الوجه) كناية عن الجرأة ، (صنعة الزلم) كناية عن العمل الجاد والقوي ، (ما بتتنجّر) كناية عن عدم التغير ، (هرجه قاصر) كناية عن عدم الجرأة على القول الصريح ، (التدليس) كناية عن الرياء والنفاق ، (مش خاش مخي) كناية عن عدم الاقتناع ، (حايص لايص) كناية عن الحيرة ، (الأمور شوربة) كناية عن الفوضى وعدم الانضباط ، (عضّة كوساية) كناية عن السرعة في إنجاز الأمر ، .

إنّ هذه التعبيرات الكنائية مستمدة من المألوف الشائع والمنطوق من كلام أفراد المجتمع وقد تمّ توظيفها في متن مقالاته .

وكل ذلك يؤدي إلى تحقيق التواصل والتفاعل مع المجتمع ، ويتطلب ذلك من الكاتب تكيفاً زمانياً ومكانياً وذاتياً ليتحوّل هذا التكيف مع المجتمع إلى حالة تفاعل مع الواقع المعاش .
ويمكن القول إنّ التواصل بالتعبير الكنائي الحديث هو وسيلة مركزية في التواصل الإنسانيّ اليوميّ .

ويلاحظ أنّ الكاتب الأردني الساخر الزعبيّ يصبّ التعبيرات الكنائية في مقولات المجتمع ومنها : (خالص كازه) كناية عن الأرعن المزاجي الذي لا يتمتع بالحكمة ، (مولعه معه عالآخر) كناية عن الغضب الشديد ، (أبوك يالديزل) كناية عن الاندهاش ، (خالص جفته) كناية عن الطفران ، (الوضع زفت) كناية عن سوء الحال ، (طافح الديزل) كناية عن الطفر الماديّ ، (على الحديدية) كناية عن الإنسان المعدم الحال ، (وضع طفي) كناية عن سوء الحال ، (يمسخ جوخ) كناية عن المجاملة والنفاق ، (الفلوس زيح) كناية عن الكثرة والغنى والترف ، (معه مال حبطرش) كناية عن الغنى ، (فلان مفلتن) كناية عن من يحتفل بعيد الحب ، (مكيجة الكذب) كناية عن من يجمّل الكذب ، (بكت أفكارك) كناية عن التكتّم على الأخبار ، (دوكرة الأفكار) كناية عن تجميلها وحسن صوغها .

ونلاحظ إنّ بعض تعبيراته كنائيةً سياسيةً ومنها : (الزواج السياسيّ بديلا عن الأحزاب) ، و (الزواج السياسيّ علاقات مصاهرة مع مراكز القوى للوصول إلى المناصب العليا) ، و (إجتماعات ماراثونية) ، و (تواصل طلب الشعوب إلى بيت الطاعة) ، و (نحن العرب سادة همّ الذنب) ، و (تبحث الحكومة عن شريك استراتيجي) ، و (الفارق الطبقي سيتسع وسيصبح الناس مثل الطحين ناس زيرو وناس موحد) ، و (هناك ناس "زيرو" أصحاب النفوذ

والوظائف العليا واللصوص وتجار الدماء وناس "موحد" الفقراء وأصحاب الوظائف الدنيا والدخل المحدود والحيل المهدود) ، و (بعض السياسات تغير مسارها نتيجة إسفين عابر للقرارات) ، و (أما مما يتعلق بالطبخة الانتخابية فعليك أن تنقعي الناخبين طويلا بالوعود الساخنة ...في هذه الأثناء اسلقي برنامجك الانتخابي جيدا ثم ضعي قليلا من الدسم الخطابي عليه ليعطي نكهة...) ، و (يحتاج الشعب إلى غسيل دماغ حقيقي) ، و (روح الخل الذي يصيب المزاج الأردني) ، و (يهرس هاون الدولة المواطن) ، و (كي لا يصاب عمود فقرات مقالتي بضربة معلم ماهر في القنص وقراءة ما خلف السطور) ، و (فالدعاء هنا فشك فاضي وليس من القلب في شيء) ، و (حوار الطرشان) و (اللحي المستعارة) ، و (الانغماس في حل الكلمات المتقاطعة) .

وتشيع هذه التعابير الكنائية في المجتمع ويتفاعل معها المتلقين .

الكناية عنده مظهر لغوي غير عادي فهي لغة خاصة يلجأ إليها الكاتب لأسباب كثيرة ، منها الرغبة في إنشاء عالم خاص به وحمائته ، والهروب من اللغة والمحذور اللغوي ، واتقاء الرقابة وتفادي الحرج .

ومن خلال الاطلاع على التعابير الكنائية عند الكاتب يتبين لنا أنها تتبع من الذكاء والفتنة من خلال التعريض والتلميح ، ودلالة على التمكن من اللغة ، ودلالة على المعرفة وسعة الثقافة والاتصال والتواصل المجتمعي .

ومن خلال الكشف عن أثر الكناية في الأساليب اللغوية للكاتب يتبين لنا إضفاء التعابير الكنائية الجمال والروعة والبراعة على تعبيره الأدبي .

ويمكن أن نعدّ هذه الكنايات من قبيل النقد الاجتماعي بحيث يتأثر بها المجتمع ، فتتال إعجابه فتشيع ويكثر تداولها بحيث تكون عاملاً من عوامل الإصلاح في المجتمع .

ولا شك أنّ الكناية أبلغ من الإفصاح المباشر للمعاني ، وبها جماليّة كامنة في التعبير الكنائيّ لا يقصد بها المعنى الحقيقيّ ، ولها أثرها في جمال الكلام وبلاغته .

وتكمن بلاغة الكناية في دفع المتلقي لإدراك المعنى من خلال التفكّر والتأمّل ؛ لما فيها من إيجاز واختصار وتعمية وتغطية وتجسيد لأنماط الحياة اليوميّة الممارسة .

ولا شك أنّ الكناية عند الكاتب بها فائدة المبالغة أو الرغبة في العدول عما يفحش ذكره صريحاً ، أو التعبير عن حال معينة أو صاحب الحال أو غير ذلك ، والمبالغة لديه تساعد في تقريب المعنى المتوخّى في ذهن المتلقين ، وكذلك الإيجاز عنده حصيلة استخدام لفظ رغم كونه قليلاً يحتوي على المعاني الجمّة ، و التصوير يظهر الكناية في المعاني في صورة المحسوسات فيجعلها ملموسة ومشهودة ويصورها واضحة بيّنة ، والزجر على سبيل الكناية يكون أبلغ وتأثيره في النفوس أوقع .

وتكمن أهميّة الكناية عند الكاتب في نقلها للمعنى نقلاً غير مباشر ، وما تحتوي عليه من قوة في الإيحاء والدلالة الرمزيّة وشدة في التكتيف وقدرة على التركيز والتأثير بصورة خاصة في نفوس المتلقين .

والكناية أداة تعبيرية مشتركة بين العامة والخاصة ؛ لأنّ الكناية موجودة في التعبير العاميّ مثلما هي موجودة في التعبير الفصيح ، وهي أسلوب من أساليب الرمز الذي اتّخذه الأدباء ليبرزوا قيمة الفكرة المراد إيصالها .

ويمكن القول إنّ التعبير الكنائيّ يوضح قدراً كبيراً من طاقات اللغة ، ويتيح للمتلقي الفرصة في تشكيل صورة الإبداع بما فيها من استحضار لمعرفته اللغويّة والبيئيّة والحياتيّة ؛ وذلك لأنّ الكناية كثيرة الدوران على الألسنة يستخدمها الناس ، وسهلة الأخذ ، وقادرة على إيصال المعنى وتجسيده بصورة المحسوس مقترناً بأثر نفسيّ يتسرب إلى وجدان المتلقي بسهولة ويسر ، واللغة

التي يحققها التعبير الكنائسي المستثمرة للتعبير عن تجربة الكاتب تثير المتلقي ، وتدعوه إلى مشاركته التجربة والافتتاح بها ، والانفعال والإعجاب بالطريقة التي سلكها في إيصال المعاني .

النتائج والتوصيات

النتائج

لقد خلصت دراسة التعبير الكنائّي في الأدب الأردنيّ الساخر إلى جملة من النتائج أهمها :

- 1- إنّ السخرية ظاهرة أدبيّة عرفت في مجال الأدب قديماً وحديثاً، وهي حاضرة في مختلف العصور ، وزخرت أمات الكتب العربيّة بها ، وكذلك تختلف من عصر إلى عصر ، وتفاوتت من كاتب إلى آخر .
- 2- انتشرت موجة الأدب الساخر في العصر الحديث انتشاراً واسعاً في مجتمعاتنا العربيّة.
- 3- أصبحت الكتابة الساخرة في الأردن رائجة ومنتشرة ، فبرز كتّاب ساخرون مبدعون في الأدب الساخر ولا سيّما المقال الساخر ، ومنهم محمد طميّة ، ويوسف غيشان ، وباسل طولوزي ، وفؤاد أبو حجلة ، وأحمد أبو خليل ، وفخريّ قعوار ، وعبد الهادي المجالي ، وأحمد حسن الزعبي وغيرهم .
- 4- ارتبطت السخرية عن الكاتب أحمد حسن الزعبي بالمجتمع ارتباطاً وثيقاً، فالنص الساخر عنده ينتمي إلى محيط اجتماعي وثقافي واقتصادي وسياسي.
- 5- لاحظ الزعبي الواقع الذي يعيشه الفرد، واتخذ السخرية وسيلة للدعوة للتغيير ، ويستمد صورته من المجتمع ومجريات الأحداث ، وسخريته تكشف عما يسود الحياة ، وترفض الواقع الراهن وتتطلّع لغدٍ أفضل ، ويهدف إلى كشف الغطاء عن الواقع ، ولفت النظر إلى الأوضاع الاجتماعيّة والسياسيّة .
- 6- الأسلوب العام للسخرية عند الزعبي يتوفر فيه عنصر المتعة ، ونقل الموقف الانتقاديّ إلى المتلقي ، ويحقق لغة أدبيّة فنيّة تسعى إلى الإبداع والإمتاع والإقناع ، ويتسم

بالسهولة والوضوح والابتعاد عن الألفاظ الغريبة ، كما وظّف اللغة الشعبيّة في مقالاته ؛
لاعتماده على الواقع بجميع مظاهره .

7- تكمن أهميّة الكناية عند الكاتب الزعبي في نقلها للمعنى نقلاً غير مباشر ، وما تحتوي
عليه من قوة في الإيحاء والدلالة الرمزيّة ، وشدة في التكتيف ، وقدرة على التركيز والتأثير
بصورة خاصة في نفوس المتلقين .

التوصيات

توصي الباحثة في ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة بما يأتي :

- 1- دراسة الحركة الأدبية في الأردن ، وتسليط الضوء علىنتاجات الأدباء المبدعين في مجال الأدب الساخر شعراً ونثراً وتجاربهم الإبداعية ، والتعمق في الجوانب الفنية والنفسيّة.
- 2- دراسة الدوافع والأسباب لانتشار الأدب الساخر في الأردن ضمن فترة زمنيّة محددة ، والاطّلاع على أبرز القضايا التي يعالجها الأدب الساخر .
- 3- جمع التعابير الكنائية النثرية للكتاب الأردنيين الساخرين في مدونة تكون بمثابة مرجعية ، وتتبعها ، وإدراجها ضمن حقول دلالية كالعقل والسلوك والمال ، أو كناية ذاتية فردية أو اجتماعية ؛ لتكشف ثقافة العصر وفكر المجتمع .
- 4- دراسة مقارنة في مجال الأدب الساخر بين المقالات الساخرة والرسوم الكاريكاتيرية الساخرة عند كاتب ساخر و رسّام ساخر .
- 5- تزويد المكتبة العربية بهذا الفن ؛ لما تعانيه من قصور في هذا المجال رغم انتشار الفن الساخر .

الخاتمة

هذا جهدي في دراسة موضوع التعبير الكنائي في الأدب الأردني الساخر عند الكاتب أحمد حسن الزعبي ، وقد سجلته في هذه الصفحات ، فإن أكن قد وفقت فذلك الفضل من الله وإن كنت قد قصرت في بعض الجوانب فأنا بشر والبشر دينهم التقصير .

وأسأل الله المولى الشكر على ما أنعم عليّ من إنجاز هذه الدراسة وحسبي أني بذلت كل ما في وسعي وطاقتي للوصول بها إلى هذا المستوى ولا أدعي الكمال فالكمال لله وحده . وحسبي أن يكون قد قدّم إلى مكتبة الدراسات الأدبية جديداً وأن يجد فيه القراء والدارسون من الفائدة قدر ما بذل فيه من جهد

فأحمد الله تعالى وأسأله التوفيق للصواب

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- 1- إبراهيم ، زكريا (2002 م) . أبو حيان التوحيدي أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء . الدار المصرية للتأليف والترجمة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأخبار والنشر ، .
- 2- ابن الأثير (637 هـ) ، ضياء الدين (1960 م) . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر . تحقيق أحمد الحوفي و بدوي طبانة ، ط1 ، دار نهضة مصر للطبع والنشر .
- 3- أدونيس (1972) . زمن الشعر . ط1 ، بيروت ، دار العودة .
- 4- أدونيس ، علي أحمد سعيد (1983م) . مقدمة للشعر العربي . ط4 ، بيروت ، دار العودة .
- 5- أمين ، أحمد (1967م) . النقد الأدبي . ط4 ، بيروت ، دار الكتاب العربي .
- 6- بيارجيرو (د.ت) . الأسلوب والأسلوبية . ترجمة منذر عياشي ، بيروت ، مركز الإنماء القومي .
- 7- البردوني ، عبد الله (2002م) . الديوان . صنعاء ، إصدارات الهيئة العامة للكتاب .
- 8- البرقوقى ، عبد الرحمن " (1983م) . شرح ديوان حسّان بن ثابت الأنصاريّ . ط3 ، بيروت ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع .
- 9- البطليوسي ، عبد الله (1991م) . المختار من لزوميات أبي العلاء المعري . الهيئة المصرية العامة .

- 10- التميمي ، قحطان رشيد (د.ت) . اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري .
بيروت ، دار المسيرة .
- 11- الجاحظ (ت255هـ)، عمرو بن بحر (1948م) . البيان والتبيين. لبنان،
بيروت، الشركة اللبنانية للكتاب .
- 12- الجارم وأمين، علي، مصطفى (1383هـ) . البلاغة الواضحة. القاهرة. (د. ن.).
- 13- الجرجاني (ت471هـ) ، عبد القاهر (1961م) . دلائل الإعجاز .
تحقيق محمد رشيد رضا ، ط 2 ، مكتبة القاهرة .
- 14- ابن جعفر (ت327هـ) ، قدامة (1963م) . المثل السائر . القاهرة ،
مطبعة نهضة مصر .
- 15- حاوي ، إيليا (د.ت) . فن الهجاء وتطوره عند العرب . بيروت ، دار الثقافة.
- 16- بوحجام ، محمد بن قاسم ناصر (2004م) . السخرية في الأدب الجزائري
الحديث . الجزائر ، جمعية التراث غرارية .
- 17- حسن ، السيد عبد الحليم محمد (1977م) . السخرية في أدب الجاحظ . ط1،
الجماهيرية العربية الليبية ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان .
- 18- حفني، عبد الحليم (1987م) . أسلوب السخرية في القرآن الكريم . القاهرة،
الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 19- الخفاجي (ت466هـ) ، ابن سنان (1350هـ) . سر الفصاحة. القاهرة، (د. ن.).

- 20- الدسوقي ، محمد السيد أحمد (2007م) . شعرية الفن الكنائي بين
 البعد المعجمي والفضاء الدلالي المنفتح . ط1 ، (د. م) ، دار العلم والإيمان
 للتوزيع والنشر .
- 21- راضي ، عبد الحكيم (د. ت) . نظرية اللغة في النقد العربي . القاهرة ،
 مكتبة الخانجي .
- 22- راغب ، نبيل (1996م) . موسوعة الإبداع الأدبي . ط1 ، بيروت ،
 مكتبة لبنان .
- 23- راغب ، نبيل (2000م) . الأدب الساخر . الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- 24- رابعة ، موسى (2003م) . الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها . ط1 ، الأردن ، دار
 الكندي .
- 25- الرباعي ، عبد القادر (د. ت) . الصورة الفنية في شعر أبي تمام .
 ط1 ، الأردن ، إريد ، جامعة اليرموك .
- 26- ابن الرومي ، (1994م) . الديوان . ج3 ، ط1 ، لبنان ، بيروت ، دار
 الكتب العلمية .
- 27- الزعبي ، أحمد حسن (2008م) . سوالييف . ط1 ، عمان ، مكتبة الأسرة
 الأردنية .
- 28- الزعبي ، أحمد حسن (2008م) . الممعوط . ط2 ، الأردن ، دار وارد الأردنية
 للنشر والتوزيع .
- 29- الزعبي ، أحمد حسن (2012م) . أوجاع وطن . ط2 ، عمان ، المكتبة
 الأهلية .

- 30- الزعبي ، أحمد حسن (2012م) . **نزف منفرد** . ط1 ، عمان ، المكتبة الأهلية.
- 31- الزمخشري ، جار الله (د. ت) . **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** . بيروت ، دار المعرفة .
- 32- السكاكي (ت626 هـ) ، يوسف بن أبي بكر بن محمد (1937م) . **مفتاح العلوم** . ط1 ، (د . م) ، الحلبي .
- 33- سليم ، محمود رزق (1992م) . **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي** . ط2 ، (د . م) ، مكتبة الآداب .
- 34- السيد ، شفيح (1988م) . **التعبير البياني (رؤية بلاغية نقدية)** . ط3 ، (د . م) ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر .
- 35- الشايب ، أحمد (1998م) . **الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الإنشائية** . ط6 ، مكتبة النهضة المصرية .
- 36- شرف ، عبد العزيز (1992م) . **الأدب الفكاهي** . ط1 ، مصر ، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان.
- 37- شيخون ، محمود السيد (1978م) . **الأسلوب الكنائي " نشأته وتطوره وبلاغته "** . ط1 ، (د . م) ، مكتبة الكليات الأزهرية .
- 38- الصاوي ، محمد إسماعيل عبدالله (د. ت) . **شرح ديوان جرير** . بيروت .، منشورات دار مكتبة الحياة .
- 39- ضيف ، شوقي (د . ت) . **الفكاهة في مصر** . القاهرة ، دار المعارف .

- 40- ضيف ، شوقي (1984م) . الشعر وطابعه الشعبية على مر العصور . ط2 ، القاهرة ، دار المعارف .
- 41- طبانة ، بدوي (1962م) . علم البيان . القاهرة ، (د . ن) .
- 42- طراد ، مجيد (1995م) . شرح ديوان الأخطل . ط1 ، بيروت ، دار الجيل .
- 43- طه ، نعمان محمد أمين (1978م) . السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري . ط1 ، القاهرة ، دار التوفيقية للطباعة .
- 44- ابن ظافر (ت613هـ) ، جمال الدين أبو الحسن علي (1970م) . بدائع البداة . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة الأنجلو المصرية .
- 45- عبد الحميد ، شاکر (2003م) . الفكاهة والضحك رؤية جديدة . الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، مطابع السياسة .
- 46- عبد الرحمن ، عبد الحميد علي (د . ت) . الأدب العربي في العصر الإسلامي والأموي . (د . م) ، دار الكتاب .
- 47- عبد الستار ، سها (2007م) . السخرية في الأدب العربي الحديث عبد العزيز البشري نموذجا . القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب .
- 48- عبد المطلب ، محمد (1997م) . هكذا تكلم النص (استنطاق الخطاب الشعري لرفعت سلام) . الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- 49- عبد النور ، جبور (1979م) . المعجم الأدبي . بيروت ، دار العلم للملايين .

- 50- عتيق ، عبد العزيز (1973م) . من النقد الأدبي . ط8 ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية .
- 51- العسكري (ت395هـ) ، أبو هلال (1952م) . الصناعتين . ط1 ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية .
- 52- عطوان ، حسين (1974م) . مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي . القاهرة ، دار المعارف .
- 53- عكاري ، سوزان (1991م) . في مسرح أنطوان غندور . ط1 ، بيروت ، المؤسسة الحديثة للكتاب .
- 54- علوش ، سعيد (1985م) . معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة . بيروت ، دار الكتاب اللبناني .
- 55- العلوي (ت705 هـ) ، يحيى بن حمزة (1914م) . الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز . مصر ، دار الكتب الخديوية ، مطبعة المقتطف .
- 56- علوية ، نعيم (1992م) . نحو الصوت ونحو المعنى . ط1 ، الدار البيضاء المغرب ، المركز الثقافي العربي .
- 57- عمر ، فائز طه (2000م) . النثر الفني عند أبي حيان التوحيدي . ط1 ، بغداد ، الشؤون الثقافية العامة .
- 58- عوضين ، أحمد السيد (1997م) . المازني ساخر العصر الحديث . الدار المصرية اللبنانية .

- 59- فاعور ، علي (1994م) . شرح ديوان أبي نواس . ط2 ، بيروت ، دار
الكتب العلمية .
- 60- فاعور، ياسين (د . ت) . السخرية في أدب إميل حبيبي . سوسة تونس ، دار
المعارف للطباعة والنشر .
- 61- فرشوخ ، محمد أمين (1983م) . أدب الفكاهة في لبنان . ط 1 ، دار الفكر
اللبناني .
- 62- قزيحة ، رياض (1989م) . الفكاهة في الأدب الأندلسي . ط1 ، صيدا ،
المكتبة العصرية .
- 63- القيرواني (ت 493 هـ) ، أبو علي بن رشيق (2001م) . العمدة في محاسن
الشعر وآدابه ونقده . تحقيق عبد الحميد هندواوي ، ط1 ، بيروت ، المكتبة العصرية .
- 64- كحوال ، محفوظ (د.ت) . أروع قصائد أحمد مطر ، سلسلة الشعر العربي
المعاصر . الجزائر ، مكتبة نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع .
- 65- كحيل ، بشير (2004م) . الكناية في البلاغة العربية . ط 1 ، مصر ،
القاهرة، مكتبة الآداب .
- 66- الكيلاني ، إبراهيم (د . ت) . رسائل أبي حيان التوحيدي مصدرة
بدراسة عن حياته وآثاره وأدبه . دمشق ، دار طلاس للدراسات والترجمة
والنشر .
- 67- المازني ، إبراهيم (د . ت) . حصاد الهشيم . (د . م) ، مطبعة
الشعب .

- 68- مجموعة من المؤلفين (1986م) . الشعر ومتغيرات المرحلة حول
الحداثة وحوار الأشكال الشعرية الجديدة . العراق ، بغداد ، وزارة الثقافة
والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة .
- 69- محمد ، سالم محمد (1993م) . أدب الصناعات وأرباب الحرف حتى القرن
العاشر الهجري . ط1 ، بيروت ، دار الفكر المعاصر .
- 70- المراغي ، أحمد مصطفى (1982م) . علوم البلاغة . ط1 ، بيروت ، دار
الكتب العلمية .
- 71- مروّة ، يوسف أحمد (1991م) . نوادر أعلام الفكاهة . ط1 ، بيروت ، دار
الزهراء .
- 72- مطلوب ، أحمد (1987م) . معجم المصطلحات البلاغية وتطورها .
مطبعة المجمع العلمي العراقي .
- 73- ابن المقفع ، عبد الله (د . ت) . كليلة ودمنة . الجزائر ، عين مليلة ،
دار الهدى .
- 74- مندور ، محمد (1974م) . الأدب وفنونه . القاهرة ، دار نهضة مصر .
- 75- ابن منظور (ت 711 هـ) ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم
(1990م) . لسان العرب . مجلد 12 ، بيروت ، دار صادر .
- 76- ابن منظور (ت 711 هـ) ، (2007م) . لسان العرب . ط4 ، بيروت ،
دار صادر .
- 77- أبو موسى ، محمد (1980م) . التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان .
ط2 ، القاهرة ، دار التضامن للطباعة .

- 78- نجم ، محمد يوسف (1957م) . فن المقالة . دار بيروت .
- 79- هدارة ، مصطفى محمد (1969م) . اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري . ط 2 ، مصر ، دار المعارف .
- 80- الهوال ، حامد عبد (1983م) . السخرية في أدب المازني . مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- 81- هيكل ، أحمد (1994م) . تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية . ط 6 ، (د . م) ، دار المعارف .
- 82- وهبة والمهندس ، مجدي ، كامل (1984م) . معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب . ط 2 ، بيروت ، مكتبة لبنان .

الرسائل

- 1- الذبياني ، مساعد بن سعد (1431هـ) . السخرية في شعر البردوني . (رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية .
- 2- الضمور ، نزار عبدالله خليل (2005 م) . السخرية في النثر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري . (أطروحة دكتوراة غير منشورة) ، جامعة مؤتة ، الأردن .
- 3- طبشي ، إيمان (2010 م) . النزعة الساخرة في قصص السعيد بوطاجين . (رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة قاصدي مرياح ورقلة ، الجزائر .
- 4- عمرو ، نيفين محمد شاكر (2008 م) . السخرية في العصر المملوكي الأول " 648 - 784 هـ " . (رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة الخليل .
- 5- الغزالي ، شعيب بن أحمد بن محمد عبد الرحمن (1414 هـ) . أساليب السخرية في البلاغة العربية . (رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية .
- 6- لمفوف ، نائلة قاسم (1984 م) . الكناية في ضوء التفكير الرمزي . (رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة .
- 7- مشتوب ، سامية (2011) . السخرية وتجلياتها الدلالية في القصة الجزائرية المعاصرة . (رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة مولود تيزي وزو ، الجزائر .
- 8- الوقفي ، نادر عبد الرحمن محمد (2007 م) . الإبلاغية في الشاهد البلاغي . (أطروحة دكتوراة غير منشورة) ، جامعة مؤتة ، الأردن .

المجلات

1- مجلة النجاح للأبحاث والعلوم الإنسانية المجلد 17 (1) 2003م ، بحث بعنوان الصورة

الساخرة في شعر الحرب عند الدولتين الزنكية والأيوبية . نزار وصفي اللبدي .

2- مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها العدد الثامن شتاء 1390هـ/2012م ، بحث بعنوان

سخرية الماغوط في العصفور الأحذب ، د.محمد صالح شريف العسكري .